روايات عبير

٢

الحُبُّ والقدَر

www.elromancia.com
مرمورية

روايات عبير

٢

www.elromancia.com

كانت تعتقد أنها ألقت الماضي وراء ظهرها

● دبرت "استيفاني" مسكنا لها ولابنها الصغير "آدم" في قرية "كوسولد" الهادئة ، حيث كانت تعيش سعيدة هانئة البال .

● لكنّها صدمت صدمة هائلة عندما علمت أ ن " مكسيم تايلر " قد انتقل إلى قصر مالك الضيعة .

● واجتاحتها الذكريات : خداعه السافر ... ما كانت تحسّه تجاهه من مشاعر الريبة منذ صدامهما الأول .

– " تسع سنوات كاملة تتكتّمين عني أخبار " آدم " . ربما كانت لديك من الأسباب ما يدعوك إلى ذلك . لقد تغير الموقف الآن ، وأصبح واضحاً تماماً ."

مقدمة

القارىء العزيز :

هذه قصة من الحياة تتكرر كل يوم هنا أو هناك ، وعلى الرغم من أن أحداثها تبدأ في أسبوع ولا تنتهي إلا بعد عشر سنوات ، إلا أن ما بين هذه الفترة الطويلة من أحداث ومد وجزر يمثل مراحل مختلفة فيها . ولا شك في أن لكل منا مرحلة يعيشها من هذه القصة بشكل أو بآخر ، وبصرف النظر عن التفاصيل الدقيقة .

في أول القصة نقول أه من آدم ! . الرجل دائما هو الرجل ، عواطفه تشتعل في ساعة وتخبو في دقيقة وبدون سبب ظاهر . إنه دائما ذلك القوي القاسي الشرير ، وليسامحه الله على طبيعته هذه .

وفي آخر القصة سنقول : أه من حواء ! المرأة هي المرأة ، عواطفها تشتعل في دقيقة ولا تخبو بعد ذلك أبداً ، سواء أكانت مشاعرها بالحب أم بالكراهية . إنها تلك المخلوقة الضعيفة الصابرة ، وليهبها الله مزيداً من العون والقوة .

ليسا طرفي نقيض ، ولكنه شيء من قبيل التوازن متي أصبح ذلك ممكنا .

المشكلة هي : متى يصبح ذلك ممكنا فيما يختص بموضوع بعينه ، وبعدكم من السنين ؟

أرجو أن تستمتع بهذه القصة ، ونترك الإجابة عن هذا السؤال الأزلي مؤقتا .

شخصيات الرواية

(١) – "استيفاني" : بطلة القصة . سيدة صغيرة السن وجميلة تحب "مكسيم" .

(٢) – "مكسيم" : رجل أعمال ناجح تضطره ظروفه إلى الانصراف عن "استيفاني" .

(٣) – "هارولد فاينبرج" : صديق والد "استيفاني" .

(٤) – "كلير" : ابنة "استيفاني" من جيمس وهي قريبة السن من "استيفاني" .

(٥) – "ريتشارد" : "أخو كلير" .

(٦) – "جميس هاموند" : زوج "استيفاني" ووالد كل من "كلير" و "ريتشارد" .

(٧) – "ليزا" : مساعدة "استيفاني" في المحل وذراعها الأيمن .

(٨) – "آدم" : ابن "استيفاني" وهو طفل ذكي .

(٩) – "تيلي" : مديرة منزل "استيفاني" .

(١٠) – "جاي فلتشر" : محاسب يرعى شؤون "استيفاني" ويرغب في الزواج بها .

(١١) – "بول" : ابن "مكسيم" من زوجته ويهوى العزف على الناي .

(١٢) – "إيستل" زوجة "مكسيم" الغنية وكانت مريضة بسرطان في المخ .

www.elromancia.com

لعلك تعلم .. أليس كذلك ؟

حار السؤال بين شفتي "استيفاني" فخرج كهمسة مرتاعة .

– أعلم ماذا ياسيدتي ؟ ورفع "مكسيم" حاجبه ناظراً إليها وقد رسم على شفتيه ابتسامة باردة ..

استطرد – أنا أعرف أشياء عديدة ، ماذا تقصدين منها بالتحديد ؟

وقالت : "استيفاني" في نفسها : إن "مكسيم" لم يتغير . هو دائماً يدير أمواله وأعماله بدقة وذكاء متبعاً أسلوب "ميكا فيللي" – الغاية تبرر الوسيلة – كل ما في الأمر أن أسلوبه أصبح أكثر سلاسة مع مرور السنين . ولكنها لن تسمح لألاعيبه أن تنطلي عليها وسرت موجة من الغضب في عروقها . ربما كانت ظروفها سيئة بعد أن أوشك عالمها الهادىء على الانهيار ، ولكن محال أن يجبرها أحد على التعلق بطرف خيط تحركه أهواء هذا الرجل ، فتلك معركة مصير .. معركة حياة أو موت .

الفصل الأول

– "مارأيك في كأس آخر ؟"

هزت "استيفاني" رأسها الأشقر مبتسمة لجليسها ولمست أطرافها الكأس برقة ثم قالت : "لا ياهارولد" . سوف أنصرف بعد قليل ولابد أن أحتفظ بوعيي وأنا أقود السيارة" .

– "ماهذا يا "استيفاني" ؟! كأس صغير ، حتى يكون بمثابة التوقيع النهائي على اتفاقنا .. هه ؟"

– "لا . إن كأساً من الشراب على معدة خالية تكفي تماماً" . ضحكت ثم استطردت : إني ممتنة بما قدمت لي من طعام ثم إن عدم ذهابي لأمريكا لبيع بعض البضائع يشعرني براحة بالغة وكأنك أعطيتني مكافأة . المفروض أن أدفع أنا ثمن الشراب الذي تناولته أنت" .

انتفض الرجل وهب واقفاً وقال : "هذا لا يمكن ، إن اليوم الذي تدفع سيدة لي الحساب لن يأتي وأنا على قيد الحياة ." وانطلق يصب لنفسه كأساً آخر . كان "هارولد فاينبرج" يعيش في فندق يقع في أعماق الريف الإنجليزي تحيطه أشجار الشوفان وتزينه المدافئ شأن الفنادق الإنجليزية العتيقة ، لكن نفقاته كانت باهظةتتناسب ومظاهر الأبهة التي يقدمها .

أخذ يفكر في الرداء المشغول الذي صممته وأنتجته "استيفاني" . استقرت عيناه على فتاة صغيرة جلست إلى جوار إحدى النوافذ العتيقة وحار في أمر هذه الدنيا التي أسبغت على ابنة أحد زملاء الدراسة معه – وكان قد رآها طفلة تحبو – هذا القوام الجميل والعقل الراجح . ترى لماذا لم تتزوج هذه الفتاة حتى الآن ؟ جال هذا السؤال بخاطره وهو يعود إلى المائدة .

سألها : "منذ متى تركت حي "كوستولا" ؟ هل كان ذلك منذ أربع أو خمس

www.elromancia.com

سنوات عندما تقابلنا مرة" على قارعة الطريق ؟ "

قالت مبتسمة : " تقصد عندما اصطدمت سيارتي بسيارتك . لقد كانت صدمة خفيفة .

لقد كنت آخر شخص أتوقع رؤيته خاصة وأن اللقاء الذي سبق ذلك كان في "نيويورك" على بعد ثلاثة آلاف ميل . لقد كان يوم قابلتك يوم سعدي ، لأن المحل الذي كنت أديره طوال سبع سنوات سابقة لم تزد إيراداته إلا بعد ذلك ." – "إن بضائعك تصل الآن إلى كل أنحاء العالم ياعزيزتي ، وأحسب أن آخر تصميماتك سوف تعود علينا بخير وفير ."

وحملقت "استيفاني" في صديق أبيها القديم وهي تفكر . كانت تعلم أن "هارولد" رجل أعمال من الطراز الأول يقوم بإمداد أكبر المحال التجارية في العالم بما تحتاج إليه من بضائع ولولا علاقاته الشخصية بالطبقات الراقية لما استطاعت أن تبيع شيئاً من مغزولاتها اليدوية ولكانت كل اللافتات في طريقها تحمل كلمة "نأسف" . استطرد "هارولد" :

– "وهذا بعد سبع سنوات من عملك في قرية "بروديواي" ، ولكن ألم تفكري في الزواج مرة أخرى ؟"

ردت عليه في دهشة : "ما الداعي ؟ إن حياتي مليئة بما يكفي . لدى عملي وأيضا أبنائي الثلاثة الذين يحتاجون إلى الرعاية رغم أن أصغرهم في التاسعة من عمره الآن . قل لي كيف يمكن لزوج أن يتكيف مع كل هذا ؟ "

كان "هارولد" يعلم أن الابنة الكبرى "كلير" وأخوها "ريتشارد" قد أصبحا شابين وهما ينحدران من صلب زوج "استيفاني" الراحل بعد أن أنجبهما من زوجة أخرى توفيت في حادث .

وكان يعلم أنها تحب الفتاة والفتى مثلما تحب ابنها تماماً ولا تفرق بينهم في شيء .. علق "هارولد" في إصرار : "ولكن وجود الأبناء هو الذي جعلني أسألك هذا السؤال لأن الزوج المناسب قد يخفف عنك بعض أعبائهم . كم استمر

زواجك السابق ؟ "

– ثلاث سنوات تقريباً "

– "نعم لقد توفي زوجك وترك لك هؤلاء الأبناء ثم رحلت من إنجلترا إلى أمريكا لتبدئي عملك الجديد ، ناهيك عن الأعمال المنزلية اليومية ياله من مجهود!! "

وربت على يدها . واستطرد : "لقد فقدت والديك في حادث طائرة وكنت صغيرة في ذلك الوقت وعرفت معنى اليتم .

هل تقبلين نصيحة أبوية مني يا "استيفاني" ؟ حاولي أن تنسي كل هذه المآسي. كم عمرك الآن ؟ سبعة وعشرون" ؟ .

– لا . تسعة وعشرون" .

– "ومن هذا الذي يعد السنين ؟ أنا أراك في أوج الشباب ويجب أن تجدي لنفسك زوجاً مناسباً وليكن ذلك إذا شئت من أجل الأطفال لأن الصغير "آدم" مثل كل أقرانه يحتاج إلى أب" .

أطرقت "استيفاني" برهة وعقبت : أنا أفهم ما تقول .. ولكن .. ولكن دعني أفكر" .

ولكي تغير مجرى الحديث ، سألت : "كيف حال أعمالك هذه الأيام ؟ "

وبينما أخذ "هارولد" يحدثها عن أعماله غرقت هي في تفكير عميق . لقد كان زواجها ناجحاً ولكنها لا تريد أن تكرر التجربة ولا تضمن ميزاتها أو عواقبها .

كان "هارولد" يقول : "وعلى ذلك وكما قلت لك ، فقد كنت أظن أن عملي هو حصني كالبيت تماما حتى وقعت في ذلك الخطأ وأعطيت بعض الأسهم لأشقاء زوجتي . أنت تعرفين طبعا كيف يكون إلحاح الزوجات ، وكانت تقول لي : "إن الدم لا يمكن أن يتحول إلى ماء ، أي أن صلة القربى هي الأبقى ، ولذلك يجب أن نحفظ مهنتنا بين أفراد عائلتنا أو أقاربنا" . وهز كتفيه دلالة على سذاجة المنطق.

– وماذا حدث "؟

www.elromancia.com

تنهد الرجل واستطرد : "كانت هذه أكبر غلطة في حياتي لأن الشقيقين اللذين أخذا الأسهم لم ينتظرا حتى خمس دقائق . باعا الأسهم في السوق ، وبدون علمي راحت مؤسسة "جرانت تايلر" تشتريها لتسيطر على عملي في السوق.

- "..م .. ماذا ؟ "

- "نعم . أراك تذهلين لذلك . لقد أشرفت على الإفلاس آنذاك . ولعلك سمعت عن "مكسيم تايلر" أحد رجال المؤسسة - أليس كذلك ؟ . أنا أعرف أن القليل من أخباره فقط يصل إلى إنجلترا، ولكن دعيني أقل لك : إن هذا الشيطان إذا فكر في حيازة شركة ما فقد حازها بالفعل " ! لقد قاومت قليلاً في أمر كان يبدو مقضياً وحدث أن "مكسيم" العظيم توقف فجأة عن محاربتي" وهنا ابتسم "هارولد" ثم أردف : وعلمت فيما بعد أن مؤسسته شغلت عني بفريسة أكبر وتأكدت من ذلك عندما عرفت أنهم استولوا على مؤسسة مالية بريطانية كبرى صرفتهم عني حين كدت أبيع ثيابي .."

- "يا للمأساة ! قالتها في نبرة طويلة .

- "والآن ، رغم بعدي عن مخالبه لا يسعني إلا أن أعترف بمهارة هذا الإنسان."

ومال في مقعده إلى الخلف ليشعل سيجاراً كبيراً ثم استطرد : "ربما كان يستثمر بذلك أموال زوجته "إيستل جرانت" ، فهي غنية تمتلئ خزائنها بالمال ، ولكني لاأشك أن "مكسيم" كان يستطيع أن يشتري ما يريد من ماله الخاص دون معونة من أحد ، ياله من سفاح مدمر في عالم المال !" ونفث حلقة من الدخان إلى السقف .

وانتصبت " استيفاني " واقفة وهي تقول بسرعة : يجب .. يجب أن أعود إلى المنزل الآن فأنا ... "

- "هيه ؟ ماذا حدث يا عزيزتي . أنا آسف. ما كان لي أن أشعل هذا السيجار" .

"ولاحظ أن وجهها ابيض فأصبح في لون الطباشير .

- "كلا .. كلا .. السيجار لا يهم ، ولكن الوقت قد تأخر وأريد .. أريد أن أراجع بعض التصميمات قبل تسليمها للعاملين" . كانت تبدو منهارة ، وأردفت وهي تلتقط عباءتها الصوفية : "لقد استمتعت بهذا اللقاء . سوف أراك قريبا . اتفقنا ؟ إلى اللقاء إذن ." ولاطفت خده بقبلة سريعة .

كان "هارولد" يحملق فيها مفكراً فيما اعتراها حتى خرجت من الحجرة ولم ينطق ببنت شفة . وفي الشارع ، وقفت "استيفاني" ترتجف من البرد وتلوم نفسها لعدم ارتدائها ملابس تبعث الدفء أكثر من هذه . إن الأناقة لا تصد رياح مارس الباردة العاتية . وعبرت الشارع ثم دخلت في ممر تجاري ينتهي بموقف للسيارات . كان من الطبيعي وهي تمر بمحلها الخاص ... "محل العجلة الدوارة" بمعروضاته الزاهية الأنيقة وديكوراته الرائعة - كان من الطبيعي أن ينشرح صدرها ، ولكنها لم تشعر بذلك في هذه الليلة . كانت نظرتها إلى المحل تخلو من الاهتمام ، وكطائر مهيض الجناحين دفعتها غريزتها إلى الاحتماء بركن مظلم هادئ حتى تقل حدة الرياح ، وبعد ذلك يمكن أن تواجه الحياة من جديد .

اضطربت مفاتيح السيارة في يدها من شدة البرد ورغم انقضاء هذه السنين كانت تدرك أن ما تخشاه واقع إن آجلاً أو عاجلاً . وتمثلت أمامها صورة "مكسيم تايلر" بعد ما سمعت عنه من "هارولد" . إن هذه الشخصية الطاغية لن تقبع في الظل طويلاً بعد أن تضخمت وبرزت في عالم المال . لسوف تسمع اسمه كثيراً وتردد الصحف أخباره محلاة بصوره . ولا ريب أن الكلام عن شخص شيء ومعرفته على حقيقته شيء آخر .

فتحت باب السيارة وألقت نفسها على مقعد القيادة وهي تحس أنها قشة تتلاعب بها الرياح . استعادت رباطة جأشها بعض الشيء وخطر لها أن "هارولد" كان يتحدث عن سوق الأسهم في أمريكا ، والبون شاسع بين ما يمكن أن يحدث في أمريكا وما يمكن أن يحدث في "لندن" حيث تعيش ، فضلا عن

وجود المحيط الأطلنطي بين البلدين . وإذا كان "مكسيم" قد ألمها ولعب بقلبها في الماضي ، فقد مضت عشر سنوات هادئة بعد ذلك طرحت خلالها الخوف جانبا. كما أنه أيضاً لابد وأن يكون قد نسي علاقتهما العاطفية القصيرة هذه . من السذاجة أن يعتريها كل هذا الخوف لمجرد سماع اسم هذا الرجل .

لم تشعر بالمسافة التي قطعتها حتى وصلت إلى بوابة منزلها وكانت قد استردت كثيراً من سيرتها الأولى ، ولكن الذعر استولى عليها وهي ترى أضواءً باهرة تخترق الستائر المسدلة في منزلها .. الخالي !

مرت لحظة انفتح بعدها باب المنزل وكشف النور هيئة شخص يقف في الردهة .

– "هاه ! هذا أنت أخيراً . أين كنت بحق السماء ؟"

ارتخت أعصاب "استيفاني" وهي تنظر إلى ابنتها الكبرى . حضنتها : "أين كنت يا حبيبتي ؟ لقد أرعبتني . لم أر سيارتك . لابد أنك تركتها بعيداً ، وصدمني منظر الضوء خلف الستائر . ظننت أنه أحد اللصوص .. أو .. " ..

– "لصوص في هذه القرية ؟ أنت تمزحين . وساعدت أمها في خلع عباءتها ثم دلفا إلى حجرة المعيشة – ورأت "استيفاني" كتلة كبيرة من الخشب تتأجج في المدفأة فصاحت : "شكراً يا "كلير" . هذا ما كنت أحلم به ، وغاصت بين بعض الوسائد إلى جوار المدفأة،قالت "كلير" :"البرودة اليوم تكفي لتجميد أي شيء فكان من الضروري أن أقوم بتدفئة المكان قبل أن تعودي . مارأيك في كأس من الشراب الساخن . حتى تشعري بالدفء ؟ "

– "لا بأس . لم لا ؟ . كمية قليلة" وانحنت تدفئ يديها من لظى المدفأة" ثم عقبت : "ولكن ما الذي عاد بك هكذا في نصف الأسبوع ؟ هل صادفت مشاكل في دراستك ؟ "

– "لا توجد مشاكل على الإطلاق . بالعكس .لقد عثرت على عمل بجانب الدراسة وأحصل على أجر لا بأس به ."

– هذه أخبار عظيمة . وماذا أيضاً ؟ ."

– "إذا كنت تريدين معرفة كل شيء فدعينا أولاً نتناول بعض الطعام فأنا جائعة وقد كان اليوم طويلا بالنسبة لي . "

– "سوف أجهز لكلينا وجبة ساخنة لذيذة وأستمع بعدها لكل ما عندك ."

– "جميل . هل تريدين مساعدتي في ذلك ؟ "

– "لاداعي . ابقي جالسة قرب المدفأة وسوف أخبرك حالما أنتهي . ونهضت تسير نحو المطبخ . كانت تحمد الله في سرها وهي تستشعر الدفء المنبعث من الموقد بينما كانت تضع إناء اللحم على النار . كانت النقود التي تبقت معها قليلة بعد أن اشترت هذا المنزل والمحل التجاري – لقد عانت كثيراً من أجل أن تشتري هذا الموقد أيضاً . إنها تذكر كيف كان مطبخ جدتها القديم وهو محور حياة الأسرة ، ولاتشعر بالأسف لارتفاع الثمن الذي دفعته فيه لأن هذا الجهاز يستطيع أن يجعل المطبخ في حرارة الخبز الدافئ . لقد وقعت أمور كثيرة خلال السنوات السبع الماضية . على سبيل المثال كان هذا المكان غاية في الارتباك والقبح وهذا هو السبب الذي جعلها تنجح في شرائه بسعر رخيص أو معقول . لا أحد يتخيل مدى الجهد الذي بذلته من أجل تحويل هذا المكان الذي كان يشبه حظيرة للمواشي إلى منزل . وكان الدافع الذي جعلها تثابر على هذا العمل هو معرفتها أن هذا البيت قد شيد من وعلى أنقاض قصر أحد الحكام السابقين . كان تدهور الأنظمة الحاكمة في القرن السادس عشر هو سبب الاستغناء عن هذه المباني وعندما عُبّد الطريق بين القريتين الكبيرتين بعد مائة عام من هذا التاريخ انقطع الاتصال ببعض المناطق والمجتمعات التي ظلت تعيش في سلام طوال القرون الثلاثة التالية . وكانت البقعة التي تقطن "استيفاني" بها ملكاً لسيدة تدعى "ونسلي برتشارد" وقد لحقت بأسلافها مؤخراً بعد حياة حافلة مديدة بلغت ٩٢ عاما . ومن الغريب أن هذه السيدة لم تكن تملك مساحة ضئيلة في هذه الناحية ، بل كانت تضع يدها على القصر والمنازل والحظائر والأرض الزراعية في القرية كلها ! . كان نظام الحكم غريباً

في تلك الأزمنة الغابرة . كان بمقدور شخص بمفرده أن يمتلك قرية بأكملها يسمونها ضيعة وتشمل خمسة آلاف فدان من الأرض الزراعية فضلاً عن فندق صغير ومكتب للبريد وسوق عام ومدرسة ابتدائية صغيرة وأشياء أخرى .

وأتى صوت "كلير" سائلاً : "ألم ينته إعداد العشاء بعد ؟ لا تظني أنك وحدك الجائعة ، فلو قدموا لي حصاناً الآن لأكلته ."

- "أسفة يا "كلير" . غرقت في أحلام اليقظة" . ورفعت الإناء من على الموقد ووضعته على المائدة المصنوعة من خشب الصنوبر التي تزين حجرة الطعام . استطردت ! "الحقيقة إني كنت أتساءل عما عساه يحدث لهذه القرية . سوف يهب السكان هنا مذعورين إذا عرفوا أن هناك من يريد أن يشتري بيوتهم .. أو على الأقل جزءاً كبيراً من القرية .

- "حسناً . كنت أحاول ..." وقاطعتها "استيفاني" .

- "أليس من حقك أن تختاري لون باب المدخل ؟" . "من حقك طبعا . ولكن هذه الشيطانة ما كانت لتترك أحداً يعيش في سلام إن تجرأ وزرع أزهاراً مختلفة في حديقته .

- "تقصدين" و نسلي برتشارد" ؟ تلك الطاغية المرعبة . أنت تبالغين ."

- "مطلقاً . هل تذكرين الضجة التي حدثت عندما علق أحدهم لافتة على باب المقهى واضطر أن يزيلها قهراً وتمنى الناس لو أن وزارة الأوقاف أو أي مؤسسة أخرى تقوم بشراء الضيعة كلها .."

- "كنت أتعاطف مع مشاعر الناس طالما أن ذلك يحفظ عليهم قريتهم . ولكن هذا الحل يبدو بعيداً صعب التطبيق ." هزت "استيفاني" رأسها وقالت :

- "لو كان الهدف حفظ الحقوق والملكيات ، فأنا أوافق عليه وأتمناه ، ولكن الناس هنا يريدون أيضاً أن يديروا أمورهم بنفس الطريقة التي اعتادوا عليها قبل الانتقال إلى القرية ، ومع ذلك فأنا لا أفهم السبب في قيام هذا النظام الإقطاعي المجنون ."

وحملقت فيها الفتاة : "هل حقا لا تعلمين ؟ .. أعني هل يحيرك هذا الأمر لهذه الدرجة ؟"

- بالتأكيد . هل تعرفين السبب في حرب الاستقلال التي خاضها الأمريكيون ؟ لمثل هذه الأنظمة الإقطاعية وغيرها بالطبع . لو كنت من أهل هذه البلد لأقمت حفلا أدعو الناس فيه إلى الثورة ."

- "أرجو أن تهدئي فهذه ليست عادتك لابد أن هناك مايقلقك .."

- "لا .. لا على الإطلاق . ربما كنت متعبة بعض الشيء"

ابتسمت "كلير" في وجهها وقالت :

"لقد قامت أول ثورة للفلاحين عام ١٣٨١ وإذا لم تكن الأمور قد تغيرت خلال الستمائة عام الماضية بما لا يثير ثورة أخرى - وهذا مشكوك فيه - فلن يجد جديد إلى الأبد ."

ضحكت "استيفاني" وقالت : "أنت على حق . دعينا نترك الفلاحين الثائرين يواجهون مصيرهم بينما نلتهم عشاءنا .."

- "هذا أعظم ما سمعت منك على الإطلاق ." ونهضت تجهز السكاكين والشوك والأطباق وهي تسأل : "وبهذه المناسبة كيف حال "تيلي" . أما زالت تشكو من قدميها ؟"

ردت "استيفاني" : إنها تثرثر كثيراً حول آلامها ، وقد أخبرتني بالأمس أن التهابات قدميها من النوع المزمن .

وجلست السيدة وابنتها إلى المائدة بينما راحت "كلير" تقول :

- أنا لا أعرف كيف تحتملين "تيلي". لقد كانت تضايقني وأنا صغيرة بينما تبش في وجه أخي "ريتشارد" ..

- آه . لقد كانت كريمة معنا عندما حللنا بهذه القرية . هل أخبرتك عن الخطاب الذي تلقيته من "ريتشارد" بالأمس ؟

رفعت "كلير" حاجبيها : خطاب من "ريتشارد" ؟ لابد أنه يريد شيئا لأن أقلامه

www.elromancia.com

لا تطيق لمس الأوراق وكتابة الخطابات ."

- إنه يقول : إنه بخير . لقد أصبت في ظنك .

إنه فعلا يريد بعض الثياب الثقيلة ."

- "وبالطبع سترسلين له كمية كبيرة منها ."

- "كنت أفكر في أن أصمم له شيئاً خاصاً . مارأيك في فراء الدب القطبي الأبيض مع زركشة سوداء ؟ وقماش ترسم عليه خريطة "ألاسكا" حيث يعيش "ريتشارد" ؟ ."

وأمسكت بقلم أخذت تخط به على حافظة ورق كانت تحتفظ بها على المائدة دائما .

- "لقد أفسدت هذا الشاب يا أماه - وأفسدتني أيضا بتدليلك لنا" . وتناولت قطعة أخرى من اللحم مع بعض البطاطس .

- "لم أفسد أحداً منكما ، ثم إن هناك رداءً صنعته لك بنفسي بالفعل .."

-"أحقا ؟ هائل ! . ما شكله ؟ "

- "لقد استلهمت "الكلارنيت" التي تحبين العزف عليها فجعلت نقوش السترة على شكل النوتة الموسيقية . إنه في حجرتك في الطابق العلوي .

لماذا لا تجربينه الآن بينما أقوم بإعداد القهوة ؟ "

نهضت الفتاة على الفور مسرورة . كانت "استيفاني" تدرك أن البرود الذي تظهر به "كلير" يخفي خلفه تلك الطفلة الصغيرة ذات العينين الصغيرتين اللتين تشيان بالغيرة من أخيها .

نعم إن "كلير" تحرص دائماً على ألا يحصل أخوها على نصيب أكبر منها في أي شيء .

وحملت صينية القهوة إلى غرفة المعيشة ، ومرة أخرى غاصت في مكانها المفضل بجوار المدفأة وسحبت كراسة رسمها إلى حجرها .

كان من الصعب عليها أن تخفي مشاعرها المضطربة عقب لقاء "هارولد" .

وكالعادة في مثل هذه المواقف كانت تعرف أن أسهل الطرق للتخلص من هذا القلق هو أن تغرق نفسها في العمل ، وبالفعل استغرقت في الرسم والتفكير فلم تشعر بعودة "كلير" . قالت الأخيرة :

- "هو رداء جميل .. أشكرك من كل قلبي .. "

- "عفوا يا حبيبتي . صبي لنفسك بعض القهوة" . قالت ذلك وهي ممعنة في دراسة بعض التفاصيل .

- ... "وأعتقد أنه من المناسب أن أريه القرية . ما كنت لأقترح ذلك لولا إحساسي برغبتك في أن أفعل ذلك .. ياه ! ماذا بك يا أمي ؟ "

- "هم م م ."

- "أنا أكلمك منذ خمس دقائق . واضح أنك لم تسمعي حرفاً مما قلت ."

لم ترفع "استيفاني" عينيها عن الورق وقالت : .. ماذا حدث ؟! "

تنهدت "كلير" وصرخت : "بصراحة هذا لا يطاق ! كان يجب أن أعرف أنك ما إن تمسكي بالقلم فلن تعيري التفاتا إلى أي شيء آخر أرجوك اسمعي لي .. التفتي إلي .."

تسللت تلك الكلمات الحارة عبر حاجز استغراق "استيفاني" . رفعت رأسها الأشقر ونظرت إلى الفتاة قائلة : "هل هذا سبب عودتك اليوم ؟ "

- "نعم . حاولت أن أذكر لك ذلك من قبل ولكن الحديث كان يأخذنا إلى جوانب أخرى بعيدة . إنه رئيسي في العمل يريد أن يزور هذه الناحية وربما رتبت له لقاءً معك ." وضعت "استيفاني" الورق جانباً وردت : "آسفة لانشغالي عنك يابنتي ولكنك حيرتني بكلامك هذا . إذا كان رئيسك يريد أن يقوم بجولة في القرية فما المشكلة ؟ وإذا كان يريد أن يقابلني فلا مانع في ذلك أيضاً . وسوف يسرني ذلك بلاريب ."

- "إن المشكلة تكمن في كل ما ذكرته . ولا أعتقد أنك ستريدين رؤيته . ولعلك لا تعلمين أن ضيعة السيدة "ونسلي برتشارد" بأكملها قد آلت ملكيتها إلى رئيسي

أو مستخدمي .

– "هل يملك كل هذه الناحية ؟"

أومأت "كلير" بالإيجاب واستطردت :

– "لقد حدث ذلك في الأسبوع الماضي فقط ، ولما كنت أعرف شعورك .."

– "مهلاً يا عزيزتي . قد تكون لي آرائي الشخصية عن النظام الإقطاعي الذي ساد بريطانيا قديماً ولكنني لا أقوم بدور الجلاد الذي يبحث عن هؤلاء الإقطاعيين ليخنقهم . هل ينوي رئيسك هذا الذي أصبح صاحب القرية أن يعيش هنا ؟"

– أعتقد ذلك . وأعتقد أن عائلته كانت تمتلك هذه الضيعة بالفعل منذ مائتي عام .

أليس من المحبب إلى النفس أن يستعيد المرء شيئا فقده من قبل ؟"

لاحظت "استيفاني" احمرار وجنتي الفتاة واضطراب أصابعها وهي تعبث بالبلوزة الصوفية وأجابت :

– هذا طبيعي ، ولكن هل هذا الرجل مهم بالنسبة لك .. أعني من الناحية الشخصية على وجه التحديد ." أومأت الفتاة بارتباك والصب تفضحه عيونه . وأدركت "استيفاني" الوضع وإن كانت ترجو ألا يكون فارق السن كبيراً بين الاثنين . إن الرجل مليونير وقد استطاع تدبير ثمن الضيعة ربما بمساعدة أحد وهناك احتمال أن يكون بعد في شرخ الشباب . قالت "استيفاني" :

– "لا تقلقي يا "كلير" . سوف تسرني رؤية هذا الرجل ولن أبوح له بأفكاري الثورية على الإطلاق . هل يعجبك هذا ؟" سرت موجة من السعادة على وجه الفتاة وراحت تحتضن أمها أو بالأحرى زوجة أبيها في خطوات راقصة نحو التليفون .

* * *

كان أسبوع عمل شاق بالنسبة لـ "استيفاني" وكادت تنسى أن صديق "كلير"

الجديد ، هذا الإنسان النادر ، صاحب الضيعة سوف يتصل تليفونيا يوم السبت ليخبرها بموعد زيارته لها . ما كانت لتنسى – بالطبع – موعد المكالمة ولكن كان عليها أن تنجز الكثير من الأعمال في أقصر وقت في ذلك اليوم كأن تشتري لوازم البيت ثم تحضر "آدم" ابنها من المدرسة وتجهز نفسها لاستقبال الضيف . قالت "لآدم" :

– "العب في الفناء ولاتنس أن ترتدي بنطلوناً نظيفاً بعد أن تخلع زي المدرسة."

رد الغلام : "هل هذا ضروري . أنا لا أظن أن الحب الحقيقي بين الطرفين يمكن أن يتأثر أو يتزحزح بسببي . وبالمناسبة .. ما اسم هذا الشاب الجديد ؟"

– "لاأعرف ياحبيبي . لم تخبرني لسبب ما ورأيت أنه من المناسب ألا ألح في ذلك . سوف نعرف بعد قليل على أية حال . أرجوك أيضاً ألا تتكلم عن الحب الحقيقي أمام "كلير" فهي حساسة في هذه المرحلة ."

– "ألا تعرف هي معني الحب الحقيقي ؟"

– "أنت ذكي يا "آدم" وأخاف أن تندم يوماً على إحراجك للناس ."

– "لا تخافي ياأمي . سوف أتبع نصائحك حرفياً ." قال هذا وحمل حقيبته المدرسية ثم انصرف إلى حجرته يثب الدرج اثنتين اثنتين . صاحت أمه :

"راقب سلوكك ."

أرادت أن تذكره مرة أخرى وأن تكون لها الكلمة الأخيرة ثم انشغلت بعد ذلك بنقل مشترياتها إلى المطبخ . ثم تجهيز الغداء وعمل تورتة الشيكولاتة التي يحب "آدم" تناولها مع الشاي . ولم تشعر بانقضاء الوقت حتى وجدت "آدم" خلفها يقول :

– "هناك سيارة جديدة شكلها مبهر ولونها أحمر تقف أمام بابنا . يبدو أن صديق "كلير" يمتلك صناديق من المال . أتعتقدين أنه سوف يشتري لي جهاز كمبيوتر ؟!"

– "كلا بالطبع . وخلعت قميص المطبخ وعقصت شعرها على شكل حزمة كبيرة

www.elromancia.com

خلف رأسها ثم تمتمت : إن المطبخ يبدو في أقبح صورة الآن ."

وعلق "آدم" :

- "لايهم" إن "كلير" وخطيبها - كما تقول الروايات الرومانسية - سوف يتبادلان النظرات طوال الوقت ."

- "كم تعلم أيها الصغير عن القصص الرومانسية !! حقيقه لم أعد أفهم أطفال اليوم ، عندما كنت في مثل سنك كنت أقرأ القصص الفكاهية وكتب الأطفال كقصة القطة "كاتي" ."

وسكتت رغما عنها تنهره على يده وقد أغمد إصبعه في تورتة الشيكولاتة .

قال "آدم" : بصراحة ياأمي أنت غير عصرية على الإطلاق . إن أطفال اليوم يهتمون بما هو أفضل من ذلك بكثير ."

وسمعت صوت انفراج الباب الأمامي فقالت لابنها :

"دعنا نكمل حديثنا فيما بعد وخرجت من الحجرة مرحبة فقالت كلير : "أهذا أنت يا أماه .."

- "نعم يا عزيزتي . كنت مشغولة بإعداد الغداء . ومدت طرفها نحو الضيف تبش في وجهه .

وبدأت "كلير" حديثها : اسمح لي أن أقدم لك زوجة أبي .."

وكانت "استيفاني" في شغل عن هذا الحديث .كانت تحاول أن تتعلق بمسند أحد المقاعد وقد ظهرت عظام يدها بيضاء من تحت الجلد لفرط التوتر . جاهدت حتى لا تترنح ساقاها ومازالت عيناها مسلطتين على الغريب ترفض أن تصدق ماترى . استعصى الفهم عليها بهروب الدم من عروقها فقد كانت ترفض الحقيقة المرعبة التي تتلخص في أن الشخص الذي وقف على بعد ستة أقدام من جسمها المرتعد هو "مكسيم تايلر" .

الفصل الثاني

لا يخلو ظهور "مكسيم" المفاجيء في حياة "استيفاني" من بعض ظلال الشك ، وكان بمثابة جرح مرير لم تعان مثله من قبل . وحتى الآن وبعد انقضاء أسبوعين كانت لاتزال تشعر بالتوتر والعصبية موقنة أنها قد تقابل هذا الإنسان مرات ومرات في كل طريق تسلكه . ولكنها شعرت ببعض التحسن في ممارسة العمل في الحديقة . رمت برأسها إلى الخلف ورفعت يدها ذات القفاز الملوث بالتراب لتزيح خصلة من الشعر سقطت قرب عينيها ، ونظرت برضاً وهي تقيّم التقدم الذي أحرزته . وكانت شمس "أبريل" الباهتة تتسلل من بين أوراق الشجر وقد أخذت الطيور تصدح وتغرد ، تحط متى شاءت على الأعشاب البرية القريبة. ياله من جو جميل يريح الأعصاب ! وسمعت صوتاً :

- "متى نشرب الشاي ؟"

أدارت رأسها لتجد "آدم" يطل نحوها من شباك حجرته .

- "لقد فرغنا تواً من تناول الغداء ." لم تكن تشك في أن معدة هذا الطفل بلا قرار أو مثقوبة . إنه لا يكاد يفرغ من طعام حتى يشرع في طلب غيره .. وباستمرار . استطردت :

- "إذا كنت تشعر بالجوع فالتهم علبة البسكويت ." وابتسمت عندما رأته يشير لها بمرح ويختفي في الداخل . لم تطل هذه الابتسامة وفترت تدريجيا وهي تسترجع ذكريات لقاء "مكسيم" الأخير . كان الرعب قد تملكها وتوقفت أنفاسها بفعل الصدمة أو الصفعة التي لطمت رأسها فجعلتها ترفض تصديق ما يحدث . كيف يكون هذا هو "مكسيم" بلحمه وشحمه وليس طيفاً من نسج الخيال والوهم لقد قال لها :

- "أهلا يا مسز "هاموند" .. تسرني رؤيتك." ومر بجوار جسمها المرتعد ليصل

www.elromancia.com

إلى الصالة الرئيسية . كانت أحبالها الصوتية مشلولة تماما وكأنها في حلم مرعب رغم أن نفسها كانت تحدثها بمقاومة هذا الخوف الهائل . أحست أنه من اللازم أن تستغيث بكل ملكات الجزء العامل من عقلها . يجب أن تبدو هادئة على أمل أن تستيقظ في أية لحظة لتكتشف أن ما يحيط بها كان مجرد كابوس مزعج . أخذ "مكسيم" يستطلع المكان الذي حل به في اهتمام وهتف :

"ياله من منزل بديع أخاذ ! ، إنه لمن الصعب أن أصدق ابنتك التي قالت لي مرة: إن هذا المنزل كان حظيرة للماشية فيما مضى ."

وضحكت "كلير" وقالت: "أنت في الواقع تقف في مكان واحد من حواجز البقر."

– "حقيقة ؟ " قالها وهو يبتسم في وجه "استيفاني" ثم يحول رأسه ذا الشعر الأسود لينظر بانبهار إلى لوحة تزين الحائط . وعلقت "كلير" :

"هذه لوحة زيتية عثرت عليها جدتي في محل للتحف القديمة ، وبعد تنظيفها والعناية بها أدركنا أنها تساوي الكثير . حقا إن جدتي كانت تتمتع بمهارة خاصة في اكتشاف مثل هذه الأشياء ."

– "بلا شك ... أكيد ." وانحني يدرس خطوط الرسم بالفرشاة .

وفي تلك الأثناء كانت "استيفاني" تفكر في ضرورة مغادرتها المكان : إن "مكسيم" لم يتذكرها حتى الآن . وهي تحتاج للحظات قصيرة تعيشها بمفردها في سكون وسلام تحاول خلالها استيعاب ما يدور حولها ، ولحسن الحظ أن "كلير" لم تشعر باضطرابها . لم يدم هذا التفكير أكثر من خمس ثوان وكانت تهدف إلى إبعاد هذا الرجل عن المنزل ، وساعدتها "كلير" دون أن تدري إذ استهلت :

– "ماذا تفضل ؟ كأساً من الشراب أم فنجانا من القهوة ؟ "

– "أفضل القهوة ."

حاولت "استيفاني" أن تجلو حلقها لكي يخرج صوتها عادياً . قالت : "سأقوم بإعدادها ."

وجرت مهرولة إلى المطبخ دون أن تسمح لأي منهما بالتعليق . أغلقت الباب وأسندت ظهرها إليه وبدأت تتنفس . كان قلبها يدق كما تدق المطرقة على السندان ، وكما لو كانت قد جرت ميلا بأكمله في أربع دقائق . لقد كانت في سباق مع الزمن حقاً . لو لم تجد الحل السريع للموقف الذي كانت فيه لانهار عالمها وتحطمت حياتها في أية دقيقة . أشعلت الموقد وأطلت من نافذة المطبخ فشاهدت "آدم" يلهو بدراجته وعضت على شفتها السفلى ، ثم تناهت إلى سمعها أصوات تأتي من الحجرة المجاورة . وهرولت نحو الباب المؤدي إلى حجرة المعيشة ونظرت من خلال ثقب أو شق فيه . كانت "كلير" توجز لـ "مكسيم" المجهود الذي بذل من أجل تحويل حظيرة الحيوانات إلى منزل . أخذت تقول :

– "لقد استغرق التنظيف وقتاً طويلاً . أجزاء من نقوش الحوائط كانت عفنة ومتآكلة" حتى أن أمي مسحت القرية كلها بحثاً عن نقوش جاهزة أخرى تتلاءم مع القديم منها . انظر إلى السقف . إنها في تلك القبة ."

لم تعد "استيفاني" قادرة على سماع المزيد بعد ذلك إذ خرج الرجل والفتاة من الحجرة .

كان "مكسيم تايلر" أكثر الناس تعلقا بذاكرتها وجاهدت أن تنساه ، الرجل طويل أسمر البشرة أنيق ورشيق . كان له كتفان عريضتان وشعر أسود كثيف . ربما أصبح أكثر نحافة" عما عهدته في الماضي على الرغم من كونه في الواحد والأربعين أو الاثنين والأربعين من العمر ، وعدم وجود الكثير من الشعر الأبيض في رأسه . لاشك أنه يعتني بنفسه شأنه شأن كل الشياطين . أحضرت الفناجين والأطباق وسرحت مرة أخرى . هذا ليس عدلاً ! لماذا لم يصلع رأسه ؟ " أو ينمو كرشه ويسمن ؟ " كان لابد أن يصيبه مكروه من نوع ما .. لا أن يظل كما هو بجاذبيته وقوته حتى وقعت الفتاة "كلير" في شباكه وانهارت ككومة من الطوب . لا ، يجب ألا تظهر شواهد هذه المرارة أمام ابنة زوجها التي تحبها . إن "استيفاني" لاتعرف كيف يعيش "مكسيم" الآن وهل لايزال متزوجا من تلك

www.elromancia.com

المرأة الغنية . إن هذا الزواج لم يمنعه من معرفة سيدات أخريات في الماضي ، ومن المستبعد أن يغير أسلوب حياته لسبب مفاجئ . وأحست بالشفقة على "كلير" . هل تعرف هذه الفتاة أن الرجل متزوج ؟ دفنت وجهها بين راحتيها وحاولت مقاومة طوفان ذكريات الألم الذي تسبب فيه الضيف الجالس في الغرفة المجاورة . مستحيل . نعم مستحيل أن تترك "كلير" لتواجه نفس التجربة ! ظل السؤال عن كون "مكسيم" متزوجا الآن من عدمه حائراً دون إجابة . كانت تريد أن تعرف . هزت رأسها لتوقظ عقلها الناعس حتى يعمل بشكل طبيعي .

الأسئلة كثيرة وكلها صعبة الإجابة . ترى ماذا يكون موقف "كلير" إذا علمت بالعلاقة السابقة بين "مكسيم" و "استيفاني" ؟ إن الفتاة ناضجة ، عمرها واحد وعشرون عاماً . ولكن "استيفاني" نفسها غير واثقة من رد فعلها لو كانت في نفس العمر ، وتعرضت لنفس الموقف . إن صورتها لن تظل بهذا الجمال عند "كلير" لو عرفت بعلاقتها مع "مكسيم" قبل ارتباطها بوالدها . ولو عرفت فهذه أيضاً لا ينبغي أن تكون كارثة "مدمرة" . إن بنات هذا اليوم لا يعشن داخل لفائف من القطن . حسبهن ما يقرأن كل يوم في الصحف ليدركن ما يحدث في الحياة حولهن . ولكن ماذا يمكن أن يحدث .. كيف ستكون مشاعر "كلير" عندما تعرف أن الرجل الذي تحبه هو نفسه الذي أحبته زوجة أبيها . كادت ساقاها تنثنيان فاضطرت للجلوس على مقعد قريب ، ذلك أن حزمة من المشاكل ومضت في عقلها كوميض البرق . يالها من مشكلة أسرية مدمرة ! إنها حتى لو استطاعت أن تجاري الأحداث الجارية نفسياً وعاطفيا فلابد لها من قدر وافر من الدهاء والحكمة ، وهما ما لا تملكه هي ولا "كلير" .

إن "مكسيم" لم يتعرف عليها حتى الآن و"كلير" لم تذكر اسمها المجرد في الحديث ، واحتمال أن تكون علاقتها بـ "مكسيم" علاقة عابرة من بين سلسلة من العلاقات الأخرى فلا يتذكرها على الإطلاق . وهناك احتمال أن يكون قد عرفها ولكنه تظاهر بالعكس حتى لا يفضح العلاقة القديمة وحتى لا يجرح مشاعر

"كلير" . ممكن ؟

كانت هذه الفكرة بمثابة وميض أمل خافت أضاءه صوت "كلير ينادي :

- "استيفاني" .. ما أخبار القهوة حتى الآن ؟ "

- "جاهزة تقريباً ." وهبت واقفة على قدميها . شعرت ببعض الراحة عندما رأت "كلير" وحدها في المطبخ : رسمت ابتسامة عصبية وقالت :

- لم لا تقدمين القهوة بنفسك ؟

لقد أتعبني العمل طوال اليوم ولاأزال في حاجة للخروج لشراء بعض اللوازم . أنا واثقة أن هناك الكثير من موضوعات الحديث بينك وبين مستر "تايلر" ولن يكون لوجودي أهمية ."

ضحكت "كلير" وقالت :

"هراء ! وجودك مهم جداً . لماذا تريدين التقوقع هكذا ؟ .. ألا .. ألا تعجبك هيئة الضيف ؟ "

صرخت "استيفاني" بعصبية : "أصبت ! هو لا يعجبني !

واستدركت فقالت رغما عنها : "ربما كان لطيفاً بالنسبة لك ."

لم يكن هناك بد من مواجهة "مكسيم" مرة أخرى . تماسكت واستعدت للخروج من المطبخ . بادرها "مكسيم" : "تعجبني هذه الديكورات يامدام "هاموند" . إنها غير تقليدية وملفتة للنظر ."

- "شكراً" . وأخذت تصب القهوة ."

قال "مكسيم" "ولكن يدهشني أن تختاري هذا الأسلوب الفني بالذات ."

لم تجب "استيفاني" على الفور وتولت "كلير" عنها ذلك ، قالت : السبب في ذلك هو نقص المال . أليس كذلك يازوجة أبي ؟ "

- بلى . كان من الضروي أن تجاري هذه المناقشة من أجل "كلير" على الأقل .

أكملت حديثها :

- "صدقت "كلير" حين قالت ذلك . لقد أنفقت كل ما معي من المال على هذا

www.elromancia.com

المنزل حتى يصبح بهذه الصورة . كان من المناسب أن تكون الديكورات من عصر "تيودور" حتى تتلاءم مع زمن بناء هذا المبنى - وكان هذا الاختيار معقول الثمن أيضا ."

لم تكن "استيفاني" لتنخدع بكلمات المجاملة هذه ولابد أن الحجرة تبدو متواضعة جداً بالنسبة لهذا الغريب الذي دفع عدداً من الملايين لا يعلم عددها إلا الله لكي يشتري القرية كلها فليذهب إلى الجحيم . إن المال ليس كل شيء في هذه الدنيا.

ابتدرته قائلة :

- لقد أخبرتني "كلير" أنك اشتريت ضيعة مدام "ونسلي برتشارد."

كانت تبدو لامبالية وقد ارتفع النبض في عروقها عندما اقترب "مكسيم" منها ليأخذ فنجان القهوة والطبق من يدها . قال : "نعم" كان وجهه يحمل ابتسامة كالحة لاتدل على أنه قد تذكرها بعد . استطرد : " كان أسلافي يملكون هذه المنطقة منذ زمن بعيد .. في القرن الثامن عشر . إن فرع الأسرة الذي أنتمي إليه ينتهي إلى جد كان قد هاجر صغيراً إلى الولايات المتحدة .. منذ عدة أجيال، وقد علمت منذ أيام قليلة أن هذه الضيعة مطروحة للبيع ." وهز كتفيه كأن ما حدث بعد ذلك شيء عادي .

شعرت "استيفاني" ببعض الثقة . قالت : "فقررت أن تستعيدها ، ولكن هل تنوي أن تعيش هنا - في القرية ؟"

- هو ذاك . سوف يبدأ عمال البناء عملهم قريبا لكي يدخلوا بعض التعديلات على القصر .. في الأسبوع القادم ."

كانت تعرف أنه من الحكمة أن توقف الحوار عند هذا الحد . لقد وعدت "كلير" ألا تفسد بهجة الزيارة ولكن ذلك كان قبل أن تكتشف هوية هذا الخطيب الذي سوف يقيم على بعد أمتار قليلة من منزلها . استطردت : أريد أن أعرف شعورك كرجل أمريكي يتحول إلى إقطاعي ما لك للأرض ؟ "

التقط "مكسيم" النغمة اللاذعة في السؤال فعقد ما بين حاجبيه ورد : "أنا في الواقع لا أدري الـ .. "

صاحت "كلير" :

- "لابد أن قهوتك قد بردت ."

كانت تحاول أن تصرفه عن هذا الحوار وذلك المأزق الذي وقع فيه . وألقت نظرة تأنيب إلى "استيفاني" وهي تأخذ الفنجان من يده قائلة : "سآتيك بمزيد من القهوة من المطبخ" .

وكادت "استيفاني" تصرخ من أعماقها وهي ترى "كلير" منصرفة إلى المطبخ : لا تتركيني وحيدة مع هذا الرجل ! .

لا أحد يحسدها على هذا الموقف ، ولكنها هي التي وضعت نفسها فيه . قال "مكسيم" :

"هل أفهم من ذلك يامدام "هاموند" أنك لا توافقيني على شراء هذه الضيعة ؟ "

كان في صوته الهادىء تعبير عن الاستمتاع بالحوار ولكنها شعرت بمزيد من التوتر عندما وجدته يقترب منها خطوة . قالت : "أنا .. أنا لا شأن لي بهذا الموضوع ."

أغمضت عينيها لحظة وفتحت رئتيها للهواء وهي تحاول مقاومة منظره الطاغي ، كتفيه العريضتين شفتيه الرقيقتين وعضلاته المفتولة المتسقة التي تبرز من تحت البذلة الأنيقة التي يرتديها فتضفي على شخصيته ثقة "ورجولة ."

- "اسمحي لي يامدام "هاموند" أن أعبر لك عن أسفي لسماع ذلك منك خاصة وأننا سنصبح من أقرب الجيران .."

منعت عينيها من الطيران حول وجهه وقد اكتشفت من لهجته المتهكمة الساخرة ومن الطريقة التي نطق بها الكلمتين الأخيرتين أنه .. أنه قد عرفها .

همست : "أنت .. أنت تعرف أليس كذلك ؟ "

نظر الرجل إليها وقد رفع أحد حاجبيه ورسم على وجهه ابتسامة "باردة" .

وقال:

– أعرف ماذا يامدام "هاموند" ؟ . هناك أشياء كثيرة أعرفها بطبيعة الحال ولكن ما الشيء الذي ترمين للوصول إليه بالذات ؟"

وقالت "استيفاني" في نفسها : إن "مكسيم" لم يتغير . هو دائما يدير أعماله وأمواله بدقة وذكاء بأسلوب : "الغاية تبرر الوسيلة" . غاية ما في الأمر أن أسلوبه قد أصبح أكثر حبكةً مع مرور الزمن . وسرت موجة من الغضب في عروقها . ربما كانت ظروفها سيئة بعد أن أوشك عالمها الآمن على وشك الانهيار. ولكن محال أن يجبرها أحد على التعلق بطرَف خيط تحركه أهواء هذا الرجل .

إنها معركة مصير وحياة أو موت . قالت في جرأة :

– "حسنا يا "مكسيم" . لادعي للاستمرار في التمثيلية وإعلان مفاجأة اكتشاف كل منا لحقيقة الآخر ! أنا لا أعرف ما تهدف إليه من هذه الحماقات ، وحتى هذا لا يهمني ."

وقف الرجل يحملق فيها صامتاً . كان وجهه خالياً من أي تعبير فقط تصلب فكه ليخفي أي انفعالٍ أو توتر . استطردت "استيفاني" :

– "لقد انتهيت من تناول قهوتك وأريدك أن تخرج من هنا .. ثم."

صمتت عند دخول "كلير" التي قالت دون أن تلاحظ الجو المكهرب .

– "آسفة للتأخير" . ناولت "مكسيم" فنجان القهوة واستطردت :

– اضطررت أن أجاري "آدم" الذي أراد أن يجرب مدخلاً جديداً في الشطرنج، وبطبيعة الحال هزمني الولد الشقي ولم أكن قد حركت أكثر من قطعتين .

ونظرت "استيفاني" إلى المطبخ . لم تكن تستطيع عمل شيء وهي ترى "آدم" قادماً يحمل في يده مربعات الشطرنج . يالللظروف الغريبة !. سأل الطفل "مكسيم" : "هل تلاعبني ؟"

وقالت "كلير" : "أنا لا أظن أن ..."

علقت "استيفاني" بسرعة : "هو طبعاً يحب أن يلعب معك يا حبيبي ولكن لسوء الحظ أنه سوف ينصرف الآن . هيا اصعد لتمارس تدريبك على الكمبيوتر."

قالت هذا في حين كان "مكسيم" يضع فنجانه على المائدة ويستدير نحو الصبي بادره :

– "اعذرني فليس لدي وقت ."

كرر الصبي : "ولكني أعلم أنك تلعب الشطرنج . أرجو ألا يغضبك هذا ، ولكني ألقيت نظرة داخل سيارتك فرأيت فيها قطاراً يسيرعلى خطوط مرسومة ، وأعتقد من الشكل الذي حُركت به العربات أنك قد بعدت تماما عن الطريق الصحيح ."

ضم "مكسيم" ما بين حاجبيه ونظر إلى الصبي في حين حبست "استيفاني" أنفاسها وجمدت عضلاتها حتى لا تنكشف المأساة التالية في التمثيلية ، وإن كان ذلك واقعاً لا محالة .

وكانت "كلير" قد ألفت وجه أخيها فلم تكن لتلاحظ ، ولكن هذا لا ينطبق على رجل مثل "مكسيم" .

لقد كان الشبه واضحاً بين الرجل والصبي . سمرة الوجهين رغم فارق الطول بينهما وشكل الكتفين والعينين والجفنين . . مستحيل أن يفشل "مكسيم" في الربط بين هذه الاشياء . وسأله "مكسيم" : هل تلعب الشطرنج كثيراً ؟"

– "لا كثيراً ولا قليلاً . المشكلة أني لا أجد الخصوم الأنداد ، وهذا ليس تفاخراً مني أو تعاليا ، ولكنك إن كنت تمارس هذه اللعبة فسوف تحكم على مستواك فيها بالمقارنة بمن هم في نفس المستوى ."

ظهرت علامات الذهول على وجه "مكسيم" وهو يحملق في الصبي وخرجت "استيفاني" من الحصار الضاغط على عقلها فقالت : "ثق يا "آدم" أن آخر شيء يود مستر "تايلر" أن يسمعه هو المحاضرات . إنه رجل مشغول للغاية ويجب ألا تؤخره أكثر من ذلك ."

كانت تحاول أن تمنع وقوع كارثة محققة . وعلق "مكسيم" دون أن يرفع عينيه عن الصبي : "حقا . يجب أن أذهب الآن . ولكن قل لي يابني ما عمرك الآن ؟"

أسرعت "كلير" بقولها : تسعة أعوام .

إن "استيفاني" على حق . يجب أن نخرج الآن لنشاهد معالم القرية فالظلام يحل مبكراً في هذا الوقت من السنة ."

ابتسم "مكسيم" وقال : "أنت دائما على حق يا "كلير" . وأدار رأسه نحو جسم "استيفاني" المرتعد :

– كان لقاؤك مثيراً يامدام "هاموند" ." ونظر إلى الصبي مستطرداً : وقد أوضحت لي فيه ؛ أموراً كثيرة . أليس كذلك ؟"

ردت : "مع السلامة يامستر "تايلر" . كانت تعلم أن هذه المرة لن تكون الأخيرة ، وقد أخذ يخاطب "آدم" : أنا آسف . يجب أن أخرج الآن ، ولكنني سأعود ، سأعود بسرعة . هذا وعد مني" .

رنت هذه الكلمات في مسامعها . كانت واثقة من عودته عندما يشاء . وهكذا انقضى أسبوعان ومازالت تتوقع أن يصل "مكسيم" فجأة وفي أي وقت .

كيف لها أن تسترخي وأن تنام ، وبعد كل هذا الضغط العصبي أصبحت تكره أن ترى وجهها المنهوك في المرآة . كان صعبا عليها أن تصدق أن هذا الوجه الشاحب ذا الظلال القاتمة تحت العينين هو وجهها . حتى "ليزا" – مساعدتها في المحل – دهشت عندما رأتها على هذا الحال وقالت لها : "ماذا بك؟ لماذا لا تأخذين إجازة . أستطيع أن أديرأنا كل شيء هنا ."

كان ذلك شعورا جميلا منها . فكرت في ذلك وهي تجمع أدوات العمل في الحديقة لتضعها في مكانها الخاص . ومرة أخرى تركت العنان لخواطرها . ليس الحل هو أن تأخذ "آدم" وتهرب به بعيداً إلى بلد آخر – كما عن لها ذات مرة ، فهذا غير عملي على الإطلاق . لابد أن هناك شيئاً تستطيع عمله ولكنها عاجزة في الوقت الحالي . لم يكن الخطأ كله خطأ "مكسيم" . ربما لو كانت أكبر

قليلاً أو كانت لها خبرة بالحياة أكثر لأدركت أن هذا الوجيه الأنيق الجذاب أكبر منها سناً وبالتالي فهو في الغالب متزوج . ولكن عمرها كان ثمانية عشر عاماً فقط في ذلك الوقت .. ساذجة ، وذهبت إلى الحفل الخيري الذي دعيت إليه في نيويورك .

كان حفلا كبيراً لم تشهد مثله من قبل ، وماكانت لتذهب هناك لولا إلحاح السيدة "بلير" رئيسة اللجنة الخيرية التي أعجبها التصميم الذي قدمته "استيفاني" للفائزين في المسابقات لقاء بعض الدولارات . كان الحفل في شقة مدام "بلير" وكانت هذه هي البداية . عيون كثيرة تتقابل في الحجرة المزدحمة ، وقصص حب كثيرة تستلهم الأغاني والروايات .. ولكنها جميعاً بعيدة عن الواقع . كانت قصتها هي الوحيدة الواقعية . في لحظة وبينما كانت تقف في أحد أركان الغرفة تمسك كأسا في يدها وتفكر في العودة إلى منزلها وجدت نفسها تنجرف في أعقاب رجل وسيم نحو مائدة العشاء . آه لو لم تكن صغيرة آنذاك . لم تكن تعرف بطبيعة الحال أن لاقلب يدق بين ضلوع رجل الأعمال الذي وقعت في حبه . وذهب معها إلى الشقة الصغيرة التي كانت قد اشترتها بالنقود التي ورثتها عن والديها بعد حادث تحطم الطيارة – وهناك احتواها بين ذراعيه وحملها إلى غرفة النوم .

كانت سعادة "استيفاني" فياضة ومن نوع جديد . أحست أنها و"مكسيم" يعيشان في عالم صغير خاص ، لا يوجد فيه سواهما والحب الذي يجمع بينهما ، ولم تفكر إلا في أنه سيدوم إلى الأبد . وحتى في هذه اللحظة لاتكاد "استيفاني" تصدق أن علاقتهما العاطفية دامت هذه اللحظات الخاطفة فحسب. خمسة أيام فقط . إنها تذكر كل ثانية .. كل دقيقة .. وكل ساعة فيها . خلال هذه الفترة كان كل منهما قد ذاب وهام في حب الآخر ، وكان هو يؤكد لها أنه يحبها بكل خلايا قلبه حتى استيقظت في منتصف الليل ذات ليلة لتجده مرتديا ثيابه ، يدق الأرض بعصبية ويقول لها في عبوس : "انتهى الأمر يا "استيفاني"

وجلس على حافة الفراش مستطرداً :

"أنا أسف يا حبيبتي - ولكن لا أمل لنا في أن نستمر في هذه العلاقة إلى الأبد، لا في الحاضر ولا في المستقبل . لقد فكرت وأرى أنه من الأفضل أن نقطع هذه العلاقة الآن . سوف أخرج ولن أعود مرة أخرى ."

كانت نصف مستيقظة إلا أنها حاولت أن تعترض فتقول إنها نكتة أو مزحة سخيفة في هذا الوقت من الليل ، ولكنه أصر على أن يحطم أحلامها ويجمد الدم في عروقها حين قال :

- "الحقيقة .. الحقيقة إنها تلك القصة القديمة . أنا رجل متزوج . زوجتي هي "استل" وكانت أرملة عندما تزوجتها . كان لها ولد صغير هو الآن في الثالثة عشرة من العمر . إنه أصغر منك بست سنوات فقط وأعتقد أن ذلك يجعلني في عمر أبيك الذي يهد هدك ويهز سريرك . أليس كذلك ؟"

كان يقول ذلك وهو في غاية الرضا وقد أصبح صوته خشناً غليظاً . استطرد :

- "وإذا كانت زوجتي تكبرني ببعض الأعوام فإن ذلك لايبرر الخطأ في حقها، أو حتى في حقك . صدقي أن أي كلام ستقولينه لن يجعلني أكثر حزناً مما أنا عليه الآن ."

نظرت إليه في دهشة وخوف وقالت : "ولكنك يا "مسكيم" لا يمكن أن تفعل ذلك بي" !

- "أنا آسف . آسف جدا ياحبيبتي .

لقد كانت الأيام التي عشتها معك مختلفة وغير عادية بالنسبة لي ." وأجرى أصابعه بين خصلات شعره مستطرداً:

"ولكني استطعت أن أجمع شتات نفسي وأرى أن تصرفاتي السابقة كانت غير مسئولة ، ولذلك يجب أن أرحل الآن وأنا قادر على فعل ذلك ."

ورغم دموعها واعتراضها ظل صامدا كالطود يجمع حاجاته في الحقيبة ثم توجه نحو باب الشقة وقال :

"مازلت صغيرة السن يا "استيفاني" والحياة أمامك مديدة . ربما لاتصدقينني الآن ولكنك ستتغلبين على هذه النكسة بسرعة وسوف تشكرين نجوم السعد التي فعلت بك ذلك ، وأيضا تشعرين بالامتنان لسلوكي معك رغم عدم فهمك لي ."

انصرف وأغلق الباب خلفه ، وكان أخر ما سمعته منه هو صوت الحذاء الجلدي الذي يرتديه يلامس الدرج الصخرية ، وبعد ذلك ساد السكون .

ومرت أسابيع من الحزن والتعاسة حتى اكتشفت أنها حامل .

- "أمي !"

التفتت "استيفاني" مرتاعة لتجد ابنها يقف أمامها . قال :

- "بحثت عنك في كل مكان . ماذا تفعلين هنا بين أصص الزرع هذه ؟"

- "كنت أفكر . وقامت تنفض عن نفسها الأتربة والقش المتساقط من الأشجار."

قال الصبي : "أمل ألا تكوني قد نسيت وعدك المهم بالذهاب معي وصديقي "أوليفر" لنشاهد فيلم "جيمس بوند" الجديد ، وكذلك ذهابنا إلى المطعم الجديد بعد ذلك ."

- "لم أنس بالطبع . اذهب لتغير ثيابك وبعد ذلك نذهب إلى هناك على الفور . ما رأيك ؟"

- "عظيم."

وذهب ينفذ ما أوصت به أمه .

ابتسمت "استيفاني" . إن "آدم" طفل صغير ذكي ..بل حاد الذكاء ، ولكنه لا يختلف عن غيره في الاستمتاع بنفس الأشياء الطفولية . ترى ماذا عسى "مكسيم" أن يخطط لابنه ؟

وماذا يكون رد فعل الطفل إذا عرف أن "هاموند" لم يكن أباه !

تنهدت ومشت تغادر الحديقة إلى المنزل . آه لو تجد شخصا تحدثه بالمشكلة التي تعانيها !"

www.elromancia.com

ولكن طالما أن أحداً لا يعرف "مكسيم" شخصياً فلن يصدقها سامع فيما تدعي وتزعم ، على كل الأحوال لم تكن هي أول فتاة يغرر بها في هذه السن ، ولن تكون الأخيرة . دائما ستكون هناك فتيات يحملن من رجال متزوجين . أما أنها لم تعرف أنه متزوج إلا متأخراً بعد بداية علاقتها به ، فهذه حكاية معتادة أيضا . لم هذا الخوف إذن ؟ إن الحل في يد "مكسيم تايلر" بكل سهولة . لقد أدركت الآن معنى كلام "هارولد" عندما قال لها إن "مكسيم" يحصل دائما على ما يريد."

ولقد عرف بطريق أو بآخر أنه له ابن فاتى وكله غضب إذ كيف يحجب عنه هذا الخبر طوال هذه المدة ؟ . ترى هل سيقول لها : إنه يريد أن يأخذ "آدم" ؟ .

إنها لا تدري شيئا عن الموقف القانوني لهذا الوضع ، لكن بفرض أن القانون كان في جانبها مائة في المائة فلن يمنع ذلك "مكسيم" من أن يجرها إلى المحاكم المختلفة .

وهو أيضا يعرف أنها لا تحب الفضائح ولاتريد أن يؤثر ذلك على مستقبل ابنها أو حتى "كلير" . إن ثلاثتهم يشكلون مثلثا يمكن إصابته من أي جانب فيه . هذه مصيدة بلاشك أوتيه لايمكن الخروج منه . ولكنها واثقة من شيء واحد هو أن "مكسيم" لا يهدد دون أن يعني التهديد ولكنها تجهل اليوم والساعة ، وإذا كان قد قال إنه سوف يعود فلاشك أنه لابد فاعل .

الفصل الثالث

– "حسنا . لقد انتهينا من ترتيب حساباتك . ولكن ما رأيك في عرض الأزياء الذي أقيم في "أوليمبيا" . هل كان مزدحما ؟"

ابتسمت "استيفاني" في وجه محاسب محلها وقالت :

جداً .لقد اشتريت بضائع من هناك للمحل وتعرفت على مشترين جدد لمعروضاتي . إن موديلات "العجلة الدوارة" تلقى نجاحاً كبيراً هنا وفي الولايات المتحدة ."

قال المحاسب "جاي فلتشر" : "هل تعلمين أنك أول عميلة تعمل في مجال الأزياء؟

كيف بالله عليك اخترت هذا الاسم لمحلك ؟"

– "لقد اقترح علي كل الذين أعرفهم أسماء مختلفة لم تعجبني ، وكان هذا الاسم هو أنسبها جميعا . لقد فكرت في لحظة أن أختار الاسم الذي اقترحته "كلير" ولكنني غيرت رأيي . إن كل هذا لا يهم على كل حال . المهم هو أن أربح وأن أقدر على دفع أتعابك ."

– "لا تقولي ذلك يا "استيفاني" . أنت تعرفين مشاعري نحوك . آه لو كنت .. "

– "كانت مزحة ."

وأدارت رأسها نحو الساقي الذي جاء يضع مزيداً من القهوة في الفنجانين .

كان آخر شيء تود أن تسمعه هو عرض آخر بالزواج من "جاي فلتشر" . إنها غلطتها عندما ذهبت إلى مكتب هذا المحاسب وأحست أنه يهتم بها شخصيا كما يهتم بالمال الذي يمكن أن يكسبه منها ، ولما بات غرضه منها واضحاً منذ عدة أعوام كان يجب أن توقفه عند حده منذ ذلك الوقت . لكن مساعدة هذا الرجل وإرشاده لها كانا على درجة عالية من الأهمية وبالتالي لم تشأ أن تصده كلية .

www.elmoudir.com

طالما قالت لها مساعدتها "ليزا" :

- "ولماذا تصدينه ؟ إنه يحبك فعلاً ومفتون بك ، كما أنه حسن المظهر فماذا تبغين فوق ذلك ؟

لو كنت تملكين قدراً ضئيلاً من الإدراك لتمسكت به ، وكانت هذه فرصتك الذهبية."

نظرت "استيفاني" إلى "جاي فلتشر" وهو يقدم لها الفاتورة وقالت في نفسها : أظن أن "ليزا" على حق . إنه يملك كل المؤهلات . هو طويل ، شعره خفيف ، عيناه زرقاوان - وفضلاً عن ذلك كان طيب القلب مصيب الفكر إنه الشريك الأكبر في شركة المحاسبة العائلية التي أنشأها جده وتولاها أبواه من بعده . وكان الأخيران من ألطف الناس وطالما عبرا عن رغبتهما في أن تكون "استيفاني" زوجة لابنهما . ولكنها وقد جربت الجنة بين أحضان رجل آخر لم توافق على هذا العرض رغم ما كان ينطوي عليه من إيجابيات .

قال "جاي" : لقد حصلت على تذكرتين للحفل الموسيقي الذي يقام في الأسبوع القادم . هل تذكرين أنك حاولت الحصول على إحداها ولكنها كانت قد بيعت كلها ؟"

- "نعم ..نعم ."

وغاص قلبها بين جنبيها . لماذا لم تغلق فمها وتحتفظ بهذه الملاحظة لنفسها . كان يجب أن تعرف أن "جاي" سوف ينتهز هذه الفرصة . ظل الرجل ينظر إليها مطيفاً وقال :

"أما زلت تريدين الذهاب ؟"

- هم م م ! . "بلى . سيسعدني ذلك . كم أشكر لك هذا الشعور النبيل . آه .. انظر إلى الساعة !

لقد تأخرت "وليزا" تريد أن تغادر العمل مبكراً اليوم . شكراً على الوجبة التي دعوتني إليها ، والعيب في مثل هذه الأوقات التي نقضيها في منتصف النهار

هو أننا نضطر للعودة إلى العمل بعد الظهر ."

وبينما كانت تلتقط حقيبتها قال :

- سأمشي معك حتى المحل ."

- "لا . لا داعي."

- "أنا مصر ."

بدأت تحس بالراحة في أن يصاحبها حضور رجل قوي يقيها قسوة الرياح العاتية في الخارج . إنها حرة ، وليست مرتبطة ارتباطا أزلياً كالزواج . وراودها خاطر آخر يدعوها إلى التماسك والابتعاد عن مثل هذه الأشياء إذ يكفي ما عندها من المشاكل في الوقت الحالي .

مرة ثانية ، لقد كان هذا خطأها لأنها سمحت لـ "جاي" أن يدعوها إلى الشراب مما خلق الفرصة لهذه الحماقات الشبابية . يبدو أن أعصابها لن تهدأ أبداً بعد ثلاثة أسابيع من اللقاء المخيف .

وعلى الرغم من علمها بأن "مكسيم" يستطيع العثور عليها بسهولة إلا أنها بدأت تفكر في احتمال ألا يرجع وأن يكون قد تغير خلال السنوات العشر الماضية . إنه مجرد احتمال وارد . وكان خبر شراء الضيعة قد سرى كالنار في الهشيم داخل القرية وأخذ عمال البناء يعملون في القصر بالفعل منذ أسبوع . كان الكل يعرفون مدى التكاليف التي ستنفق على هذه التعديلات . الرجل غني إلى أقصى الحدود يكفي أن كل منازل القرية سيعاد طلاؤها وسيتم شراء آلات حديثة لخدمة كل القرية . هكذا كان الناس يقولون وهم سعداء ، يدفعهم الفضول إلى معرفة هذا المالك الجديد وأن يجدوه مقيماً بينهم لا أن يكون كالحاضر الغائب ، ورغم أنها لم تر "مكسيم" منذ المرة الأخيرة إلا أن عدم ظهوره خلال هذه الفترة قلل من حدة التوتر في نفسها .

أفاقت من هذه التأملات على صوت يقول :

- "ها قد وصلنا !"

www.elromancia.com

- هه! "

ألفت نفسها وقد وصلت بصحبة "جاي" إلى المحل . قالت : "شكراً على دعوة الغداء وكذلك على تذاكر الحفل الموسيقي . أنت فعلاً إنسان رقيق ."

وقبلته قبلة سريعة لتجد "ليزا" في انتظارها تبادرها : "هل حددت يوماً بعد ؟ "

- "يالله !" أحست "استيفاني" بالخجل واحمرت وجنتاها لهذا التعليق الساخر الذي سمعته من مساعدتها . إذا كان الناس سوف يعتبرونهما خطيبين من الآن فلابد إذن أن تبحث عن محاسب آخر وتجنب نفسها شر الكلام . استطردت : إذا كان هذا الرجل يعجبك يا "ليزا" فلماذا لا تجربين فيه سحر رموش عينيك ؟ "

- "في وجودك ؟ مستحيل ! "

وتنهدت وهي تنظر بإعجاب إلى "استيفاني" في فستانها الصوفي الذي ينطق بكل تقاسيم جسدها الرشيق . وبلا حسد كانت تعرف أن هذا الفستان لا يمكن أن يناسب أي امرأة أخرى تحتفظ في جسمها ولو بقليل من الشحم . هزت كتفيها وهي تنظر إلى هيئتها البدينة واستطردت : أنا شجاعة أعرف حقيقتي ، فبعد الطلاق وسنتين من الإفراط في الطعام لا يمكن أن أنافسك .. رغم جمال رموشي ."

- "هذا سهل . أنت في حاجة إلى الحركة والرياضة . ما الغذاء الذي ينصحون به لإنقاص الوزن هذا الأسبوع ؟ "

- "شرائح الكبد المشوية وعصير البرتقال ."

- "آهاه ..! "

- "غير مشجع على الإطلاق . لايوجد الرجل الذي يستأهل أن تأكل امرأة ذلك من أجله . آه ، لقد نسيت في غمرة الحديث عن الرجال الجذابين أن أخبرك أن واحداً منهم بانتظارك في الطابق العلوي ! "

رفعت "استيفاني" حاجبها وقالت : "من هو؟ "

- "لا أعلم ياحبيبتي ، لم يعطني اسمه ، لكنه ذكر أنه يريد شراء أشياء كثيرة

منك فلم أشأ أن أطلب منه العودة في وقت آخر ولا أن اتركه جالساً هنا بجواري. إنه جذاب ، جذاب للغاية . لعلك تفهمين قصدي ! "

- "لا . أنت تبالغين ! "

- "لقد كنت أبيع الفستان الكشمير الغالي للفتاة التي تدعى الآنسة "ولاس" ، وحدث أن رأت هذا الرجل يدخل هنا فأحست بالخجل وخرجت من هنا بسرعة . إن مجيء الرجال هنا ليس في صالح تجارتنا بالطبع ."

- "نعم . نعم . سأذهب الآن لأرى من يكون هذا الضيف . وبينما كانت "استيفاني" ترقى الدرج سمعت صوت "ليزا" يلاحقها :

- "نسيت أن أخبرك أنه أمريكي أو كندي فيما يبدو .

تسمرت قدما "استيفاني" وأخذت نفساً عميقاً . قالت لنفسها :

"تجلدي . أنت لا تعرفين من ينتظرك بعد ، ولايصح أن تعاني كل هذا الهلع كلما طرق بابك طارق . لسوف يؤدي بك ذلك إلى الجنون في النهاية . صعدت بقية الدرج وصفقت الباب خلفها لتكشف أن حاستها السادسة لم تخنها وأن المحظور قد وقع وأن "مكسيم" قد جاء . قالت :

- "ماذا تفعل هنا يا "مكسيم" ؟ "

- أجاب : "أنت تعرفين السبب بكل تأكيد ."

- "قالت لي مساعدتي إنك تريد شراء حاجيات كثيرة من محلنا ."

كانت المساحة التي يقفان فيها عبارة عن حجرتين ومطبخ وحمام ، وكأنها شقة صغيرة ولكنها تحولت الآن وقد وقف فيها "مكسيم" بهيئته وهيبته وقوته إلى شيء آخر .. أصغر من ذلك بكثير . في الخارج كانت الشمس قد أوشكت على المغيب وأصبح نورها لا يكشف جنبات الشقة التي غرقت في شبه ظلام . ونظر "مكسيم" إلى وجه "استيفاني" واستطرد :

- لماذا لم تخبريني ؟ "

- "أخبرك بماذا ؟ "

www.elromancia.com

- "لماذا لم تخبريني بأن "آدم" ابني ؟"
- "هذا .. هذا هراء . من قال لك هذه الفكرة المضحكة ؟"
- "دعك من المراوغة معي . أريد أن أعرف لماذا لم تخبريني أنك حملت ؟"

ضحكت بصوت عال : "ولماذا أختلق قصة بهذا الشكل ؟" كان الغضب يظهر بجلاء على قسمات وحركات "مكسيم" . قال: "لأنها الحقيقة ، ولأن من حقي أن أعرف ."

- "ليست لك حقوق في أي شأن من شؤوني وشؤون ابني . أنا أعترف بأنه كانت بيننا علاقة ذات يوم . هذه ليست نهاية العالم .

لقد رجعت أنت إلى زوجتك ورحلت أنا إلى إنجلترا حيث تزوجت "جيمس هاموند" انتهت القصة ."

- "كلا .... القصة لم تنته وأنت تعرفين"

ردت بإصرار ورغم عدم اعتيادها الكذب من قبل : "بل انتهت."

- "لقد كنت حاملاً قبل أن تذهبي إلى إنجلترا ."
- "أبدا !"
- "وتزوجت من ذلك الرجل "هاموند" حتى يلعب دور الأب لابني ."
- "لا .. أنت مخطىء . "آدم" ليس ابنك"

وباغتها فامسك بتلابيبها ونظر إليها بقسوة فأحست أن عينيه تسبران غورها .

قال : "لا تكذبي علي .. لا جدوى في ذلك ، فأنا أعرف أن "آدم" ابني ."

همست وهي تكاد تختنق : "لا يمكن أن تكون متأكداً من ذلك."

ومرت لحظات كأنها ساعات طويلة . وأطلق هو سراحها وراح ينظر إليها . كانت تريد أن تبكي ولكن عينيها لم تطيعاها . تريد أن تقول المزيد لتدافع عن نفسها وعن حياتها ، ولكن الكلمات وقفت في حلقها . وأحست به يقترب منها مرة ثانية.

عرفت أنه سيحاول أن يقتلها . لابد أن تمنعه رغم حضوره الطاغي المسيطر ورغم خوفها منه واستعدادها للاستسلام له .

باءت محاولاتها بالفشل وأطبقت شفتاه آخر الأمر على شفتيها . أحست بأول لمسة من فمه لها وتنسمت عبق العطر الذي يستعمله وشعرت بدفء وقوة احتكاك جسمه بها ، وفجأة قبض عليها بسرعة بين ذراعيه وعبرت قبلاته عن نهم متجدد في حين عجزت هي عن المقاومة . حاولت أن تذكر نفسها بأن هذا الرجل هو نفسه .. هو نفسه الذي هجرها بقسوة ووحشية في الماضي ، وهو نفسه الذي بكت من أجله كثيراً ، وهو نفسه الذي قال لها إنه متزوج ولم يتورع عن التورط في علاقة مع ابنة زوجها ....

ولكنها كانت ضعيفة أمام قوته والحنين إلى قبلاته وذراعيه بعد طول الفراق . مروقت طويل قبل أن يرفع "مكسيم" رأسه عنها . كانت عيناه تلمعان بالرغبة في حين بدا وجهه متوتراً وهو ينظر إليها لحظة قصيرة قبل أن يطلقها من بين يديه ويدور على عقبيه ذاهباً في بطء إلى النافذة ليطل منها إلى الخارج . أما هي فكانت كورقة الشجر التي لعبت بها الرياح .. رياح الانفعال والحب وظلت واقفة في استكانة ترتكن إلى الحائط كأن ساقيها قد خلتا من العظام حتى رمت نفسها بسرعة على أحد المقاعد . لقد خانت نفسها واستسلمت لمشاعرها الكامنة .

قال "مكسيم" وهو لا يزال ينظر من النافذة .

- "آسف يا "استيفاني" .. إن ما حدث مني الآن .. ."
- "أرجوك ابعد عني .."
- "آسف . لا أستطيع أن أنفذ ذلك ولابد من تسوية حسابات كثيرة بيننا ."

وأرادت "استيفاني" أن تتنصل من حوار طويل معه حتى يتركها ويرحل وحتى تتدبر أمرها "

فقالت : "ولكني مشغولة .. عندي المحل .."

- كلا . يجب أن نناقش ذلك هنا .. والآن ."
- ولكن المكان والوقت غير مناسبين تماماً ، تستطيع أن تنتظر حتى أعود إلى

www.elromancia.com

منزلي وهناك .."

- "لا ..لا . لقد اخترت المجيء إلى هنا حتى أكون بعيداً عن منزلك وعائلتك "

- "واضح . ولكن ما موقف "كلير" الآن ؟ "

- "كلير" تعمل عندي وليست لها علاقة بما نحن فيه ولا أريد توريطها ."

وكان هذا هو ماتشعر به "استيفاني" أيضاً نحو "كلير" وشعرت بالندم لخيانتها .. العلاقة بابنة زوجها مع "مكسيم" لابد أنها غير طبيعية .

استطرد "مكسيم" : "ومما أعرفه عنك أني لو أعطيتك الفرصة لتركت المدينة كلها تماما كما فعلت من قبل . اعذريني ياحبيبتي . سوف نتناقش ها هنا . "

- كيف تجرؤ وتناديني بحبيبتك "

- "لا تضيعي الوقت . إن "آدم" ابني " .. وصمت لدى سماعه طرقا على الباب. كانت ليزا" . قالت آسفة يا عزيزتي ، لعلك لم تنسي أني مضطرة لمغادرة المحل حتى آخذ الأولاد . ؟

- لم أنس طبعا .

هبت "استيفاني" واقفة في حين لفت "ليزا" المكان بناظريها وقالت تخاطب "مكسيم".

- "آسفة : أنت تعرف مشاكل الأطفال طبعاً . دائما يريدون الذهاب إلى حفلات أعياد الميلاد ودروس البيانو ورقص الباليه وأشياء أخرى لا يعلمها إلا الله ."

من الصعب عليّ الآن أن أقول إني أعرف - ولكني في سبيلي إلى ذلك . وابتسم. إن الرجل يستخدم سحره كسلاح . هكذا فكرت "استيفاني" وهي ترى مساعدتها تحملق في الرجل مبهورة كفتاة في سن المراهقة . كل ما يعوزه هو أن يوزع ابتساماته وتسقط النساء صريعات بعد ذلك من حوله . قالت "استيفاني" : " وهو كذلك يا "ليزا" سوف أنزل حالا ."

استطردت موجهة الكلام إلى "مكسيم" : "يجب أن أنزل الآن . إننا لا نغلق المحل

قبل نصف ساعة من الآن . ماذا تنوي أن تفعل ؟ "

التقط "مكسيم" حقيبة يدها وكانت قد سقطت على الأرض وقال : "هل تحتفظين هنا بحافظتك ومفاتيح سيارتك ؟ "

- "نعم ، ولكن .. "

- "سوف أحتفظ بها لأنك لن تستطيعي الذهاب بعيداً دون سيارة أو نقود . أليس كذلك . كان يتهكم منها ."

- "حقيقة أنت حقير ! "

- هيا التفتي إلى عملك ومحلك .قالها وكأنه يخاطب طفلاً صغيراً ."

- "وأنت ؟ ماذا ستفعل وأنا في المحل ؟ إنني أحتفظ في هذه الشقة بأوراقي المهمة وملفاتي ولتعلم أني في غنى عن .. "

- "سامحني ياربي . لقد كنت في أمريكا أتابع عملاً شاقاً خلال الأسابيع الثلاثة السابقة وقد عدت اليوم فقط . أتيت من المطار رأسا إلى هنا ولا أكاد أشعر بنفسي من فرط التعب والإجهاد ، هذا يبعدني تماما عن القيام بأية أعمال تخريبية في أوراقك أو ملفاتك . ضعي هذه الأفكار السوداء جانباً . سأقنع بالجلوس هنا منتظراً إياك وحبذا لو عطفت علي بشيء من الهدوء والسلام."

شعرت "استيفاني" بالعجز عن أن تفعل أي شيء مع هذا الرجل بعد أن أخذ حقيبتها ، ولم يكن أمامها إلا التسليم . رمقته بنظرة أودعتها كل الكراهية لشخصه وأسلوبه الفظ ثم خرجت وصفقت الباب من خلفها بعنف لتتنفس عن بعض مشاعرها .

وفي المحل كانت "ليزا" تنتظرها ، قالت : "كيف عثرت على هذا الرجل ؟ لم أر مثله في حياتي ..

اعذريني ، أنا مرتبكة ولا أعرف ما أقول ! "

- "سوف يأتي يوم ! "

- "فهه ؟"

- "لا شيء ."

أدركت أن سبب حنقها هو "مكسيم" ، ولا شأن لـ "ليزا" بذلك .

- من هو ؟ من الغريب أني أحس أني أعرفه ولكني واثقة أنني لم أره من قبل . هل عرفته من وقت طويل ؟"

وكانت "استيفاني" تفكر وهي ترتب بعض المعروضات . إن التشابه بين "آدم" وأبيه صارخ ولابد أن تسعى لإبعاد "مكسيم" عن هنا بأسرع ما يمكن .

إن "ليزا" ليست المرأة الفضولية الوحيدة التي يمكن أن يهديها ذكاؤها إلى الربط بين الاثنين ، بالذات لو رأتهما معاً .

ألحت "ليزا" قائلة : "هيا . هاتي ما عندك ."

- لقد قابلت مستر "تايلر" في "نيويورك" منذ سنوات عديدة . عرفته فترة قصيرة للغاية . إنه مجرد صديق قديم . صديق وهذا كل شيء ."

- "ماذا تقصدين : بـهذا كل شيء ؟ . أتتعرفين إلى هذا الرجل الشديد الجاذبية .. ومثله لا يتكرر .. ثم تهزين كتفيك دليلاً على عدم المبالاة . كنا نتحدث منذ قليل عن "جاي فلتشر" والآن نتحدث عن الرجل المنتظر فوق . كيف تعثرين على هذه النوعية من الرجال ؟"

- "هو رجل متزوج .."

- وماذا يعني ذلك ؟"

وضحكت وهي ترتدي معطفها . قالت بصراحة ياحبيبتي.. أنا لا أتردد في أن أترك له مفاتيح شقتي في أي ليلة من ليالي الأسبوع .

- "أنت على النقيض مني تماماً ."

- "لا بأس . إذا كنت تريدين نصيحتي - وأعلم أنك لن تأخذي بها - فحددي رجلا من هذين ، أيهما تحبين .. وإذا وقع الاختيار على تلك الكتلة من الرجولة والفتوة ، فدعي لي الحصان الآخر أراهن عليه ."

قالت ذلك وهي تضحك ثم أغلقت الباب خلفها .

لم تكن "استيفاني" في حالة تسمح لها بمقابلة العملاء ، على الأقل في هذا اليوم.. فوضعت علامة .."مغلق" على الباب وكانت على وشك إطفاء الأضواء حين وقعت عيناها على المرآة ورأت صورتها . لم تكن هيئتها مليحة ، لاعجب إن كانت "ليزا" تنظر إليها بطريقة خاصة طول الوقت . الفستان بدا وكأنه مقلوب باطنه ظاهره .. أما وجهها وشعرها ... إنها تكره هذا الرجل فعلا ، وأخذت تهذب من منظر شعرها حتى أصبح شكلها مقبولاً . كانت في حاجة إلى أدوات الزينة - ولكن أنّى لها بها . لا سبيل إلى إخفاء حمرة وجنتيها أو شكل شفتيها الملتهبتين بعد قبلة "مكسيم" . أخذت تصعد الدرج ناحيته وهي تدرك أنه لا فرار من لقائه مهما كانت الظروف والتقطت نفساً عميقاً ثم فتحت الباب ببطء ....

www.elromancia.com

الفصل الرابع

نظرت "استيفاني" في أرجاء الغرفة وقد اتسعت عيناها الزرقاوان من فرط الدهشة . بعد كل هذا القلق والتوتر تصعد لتجد أن الشقة خالية تماماً . رغما عنها استندت إلى الباب لحظة قصيرة وبعدها أحست بكثير من الراحة والانتعاش .

أخذت تفكر في الحقيقة التي لا يمكن ابتلاعها وهي أنه مالم يكن "مكسيم" قد قذف بنفسه من النافذة ، وياللبهجة التي استمرت ثوان فقط ، فلا بد أنه خرج عن طريق المحل نفسه . لقد كان تصميم الشقة بسيطاً ، تحده مساحة المحل، وفيه المطبخ الصغير عند باب الدخول الأمامي الذي كان يؤدي إيضاً إلى غرفة الجلوس حيث وقفت الآن . وكانت هناك ردهة تصل بين غرفة الجلوس وحجرة أخرى في نفس المساحة ملحق بها توالیت وكانت تستعملها كحجرة للنوم عندما كانت تضطر لذلك في زحمة الشغل . فكرت في كل ذلك وأدركت أنه هناك يكمن الشيطان واندفعت بسرعة نحو الحجرة الداخلية ودفعت الباب لتجد أن شكوكها قد تحققت إذ كان "مكسيم" غارقاً في السبات في فراشها . كانت علامات التعب والإجهاد واضحة على وجه "مكسيم" ، ودهشت لاهتمامها المفاجيء به قبل أن تستجمع شتات نفسها وتتذكر الخطر الذي يشكله هذا الرجل عليها وعلى عائلتها . ولاحظت أنه قد خلع نعليه ورباط عنقه الحريري وجاكتته فعبرت الغرفة نحو هذه الأشياء وفتحت صندوقا كان يوجد هناك وأخرجت منه ملاءة ألقتها على جسده الممدود . كانت تكره أن يصاب ببرد رغم خلافها معه . كانت تعلم فرق التوقيت بين البلاد عندما تختصره سرعة الطائرات وما يسببه ذلك من إجهاد وإرهاق ، وعجبت أن يعاني هذا الجسد شيئاً قد يعد بسيطا كهذا . تذكرت لحظة غمرها اليأس منذ عشر سنوات ، كانت نصف واعية يعتصرها

الألم والشقاء فلم تعد تدري ما تفعل إذ ألفت يداً تقبض عليها وسمعت صوتاً يرطن بإنجليزية غريبة في أذنها : "مهما كان حد تعاستك فلا تنهي حياتك لأن ذلك ليس الحل ."

وأخذ صاحب الصوت بيدها إلى بر الأمان في سيارته وسط ذهولها عندما أدركت حقيقةما كانت تنوي أن تفعله . ورافقها الرجل إلى مطعم عائلي دون أن يلتفت إلى احتجاجها وقدم لها وجبه طيبة ساخنة . قال : أنا أعرف ما تشعرين به تماماً فقد مررت بنفس الظروف !

وخلال الساعتين التاليتين وجدت "استيفاني" نفسها تخبر هذا الرجل ، وكان اسمه "جيمس هاموند" ، بكل قصتها .. ربما لكونه غريباً عنها ، لكنها استراحت بعد أن كشفت عن مشاكلها خاصة وأنها قد تركت أصدقاءها عندما ذهبت إلى "نيويورك" لتلتحق بكلية الفنون ، كما أن القليلين الذين عرفتهم كانوا قد غادروا المدينة لقضاء العطلة الصيفية .

قال الرجل : "ألا يوجد أي قريب لك هنا ؟"

هزت رأسها بالنفي ، فعاد الرجل يسألها باهتمام :

"وهل تريدين الاحتفاظ بالطفل ؟"

– ".. نعم . لا أجرؤ على غير ذلك ، وما يقلقني هو كيف سأعيش بعد ولادة هذا الطفل ."

وبدا من الواضح خلال المناقشة أن بينهما اهتمامات مشتركة فهما مثلا يحبان قراءة نفس الكتب ، تستأثرهما نفس نوعية الأفلام وكانا يهيمان جنوناً بالموسيقى وفن الأوبرا .

وعلمت من الحديث أن "جيمس" يعمل محاسباً وكان قد طار إلى "نيويورك" لحضور مؤتمر على أن يعود إلى انجلترا بعد أيام قلائل . وأخبرها بأنه يقاسي في حياته بعد أن توفيت زوجته الحبيبة وتركت له طفلين في الثالثة عشرة والحادية عشرة من العمر .

وعندما أوصلها إلى مسكنها ترك لها رقم تليفونه في الفندق وشدد في أن تتصل به إذا ما أحست بالاكتئاب مرة أخرى .

ولما كان "جيمس هاموند" سيعود إلى إنجلترا ثانية ، فلم تتوقع أن تقابله بعد ذلك ودهشت عندما وجدته يتصل بمسكنها بعد يومين طالبا مقابلتها .

– "هل تريدين الرجوع معي إلى إنجلترا ؟

.. سوف أرعاك هناك . لقد كنت أحب زوجتي الراحلة للغاية ، وأظن أني قلت لك ذلك .

كان كل طرف منا يمثل كل شيء بالنسبة للآخر ، وأعرف أني لن أحب من بعدها أبداً . لقد سمحت لي شركة أعمال المحاسبة التي أعمل فيها بإجازة نظراً لظروفي ، ولكن "كلير" و "ريتشارد" – البنت والولد – لا يريدان أباً أيام العطلات فقط ، ولم أنجح حتى الآن في العثور على مديرة منزل مناسبة .. "

عبست "استيفاني" وقالت : "بالطبع ولكنني لا أفهم في الواقع معنى ..."

– أريدك أن تتزوجيني ، زواجاً اسميا فقط . إن أطفالي في حاجة إلى أم حانية .. أو لنقل سيدة تشيع جواً منزلياً في البيت . وإذا كان أحدنا لا يعرف الآخر بشكل كاف إلا أني أحس بأننا سنتوافق سريعا" . استطرد :

"ومن ناحية أخرى سوف أهتم بطفلك وسوف أعتبره ابنا شرعياً لي طالما سيولد بعد الزواج ."

– "لا أظن أن ..."

– "أرجوك . فكري فيما قلت لك أولاً . كلانا يعاني مشاكل وربما ساعد الاتفاق أو العقد الذي أعرضه عليك في حلها . سوف أزورك غدا لأعرف ردك ."

لم تنم "استيفاني" هذه الليلة .. قلبت الفكرة من كل الوجوه ووافقت عليها . تركت مسكنها في عهدة بعض الناس وسافرت معه إلى انجلترا لتتعرف على طفليه قبل عقد القران كشرط مسبق . ووجدت الطفلين يرحبان بها بشيء من الحذر ، وقد زال هذا تماما بعد أن أنجبت هي طفلها .

www.elromancia.com

ولم يكن التأقلم على الحياة في انجلترا سهلاً في البداية ولكن "جيمس" كان كالبرج الذي يمدها بالقوة خاصة قرب حلول ولادتها وأصر على ألا يعرف أحد، حتى طفليه أنه ليس والد المولود .

كان يقول :

- "أريد أن يكبر ابنك في حوض الحب والوئام ، ولذلك يجب أن نعتبره ابننا معا . لقد صنعت منزلا عظيما لي ولطفليّ حتى أننا - إذا كنا نشعر بالسعادة التي افتقرنا إليها من قبل ، فالفضل كله يرجع لك ، ولن يقف شيء في طريق سعادتنا بعد ذلك أبداً ."

وهكذا مرت الأيام حتى جاءت اللحظة التي باغتت "جيمس" فيها أزمة قلبية ، ولم يكن قد مرض في حياته قبل ذلك يوما واحداً ، فتوفي في مكتبه .

ورغم هذه الظروف فقد كفلت الأطفال جميعاً ووفرت لهم احتياجاتهم .

لقد كانت البداية شاقة ولكنها حققت بعض النجاح الآن وبعد أن كبرت البنت وأخوها لم يعد هناك ما يشغلها إلا "آدم" .

- ولو كانت الحياة رحيمة بها ما رجع إليها أبدا ذلك الرجل الذي أوجع قلبها وعذبها وبعد هذه السنين .

أدارت وجهها نحو الجسد المستلقي على الفراش ، ولاحظت أن صاحبه قد استيقظ وراح ينظر إليها .

قال : "أشكرك إذ لم تتركيني أتجمد من البرد .."

ونفض الغطاء جانباً . استطرد : "إنني غير معتاد على الجو في انجلترا هنا" هزت "استيفاني" كتفيها وقالت : لا يوجد شيء أكثر برودة هنا من القصر العتيق الذي ستقيم فيه ، وأرى أن إقامتك لن تكون مريحة هنا أبداً ."

- "أنت تغيضين رقة ."

ونظر إليها مبتسما فكاد قلبها يتوقف من فرط الانفعال قبل أن تسمع كلماته التالية التي ألقت بها إلى عالم الأرض . قال : "فيما يختص بـ "آدم" .. أظن

أنك قد فكرت جيداً ووجدت أنه لا جدوى من إنكار ما لا يمكن إنكاره ."

ونهض من الفراش يجري أصابعه بين خصلات شعره .

ردت : "لست مضطرة لتأكيد أو إنكار أي شيء وشهادة ميلاد ابني تنص بوضوح أني أمه وأن أباه هو زوجي السابق . فإذا ظننت يا "مكسيم" أن بمقدورك أن تغزو حياتي فجأة بحجة أنك والد "آدم" ، فأنت مخطيء ."

- "كلا . أنت المخطئة أو بالأحرى أنت لا تعلمين ما يكفي عن التقدم في علوم الطب .

ألم تسمعي "بالمضاهاة الوراثية" ؟

- "ما هذا الذي تتحدث عنه ؟"

- "إنها واحدة من الوسائل العديدة المتاحة لإثبات البنوة ، ولن يتطلب الأمر أكثر من عينة دم مني ومنه كما أن النتائج لا يشوبها الشك على الإطلاق ."

- "لا .. لست أصدقك ."

- لا يهمني أن تصدقيني أم لا ، والحقيقة المجردة هي أني والد "آدم" .. هل لديك منشفة ." كان يغسل يديه ووجهه . قالت : ماذا ؟ .. نعم .. نعم .. دقيقة واحدة ."

ما هذا ؟ ها هي ذي في منتصف مناقشة مهمة تجد نفسها مضطرة للتصرف بغباء .. كخادمة . قالت لنفسها ربما استطعت أن ألفها حول رقبته . ودخلت إلى التواليت تناوله المنشفة : "تفضل."

- "شكراً . وكنت أقول لك .."

- "لقد سمعت ما قلته ، وهذا دوري في الحديث لأوضح لك نقطة أو نقطتين أهملتهما دائما .

على سبيل المثال أنت لا تلقي اعتباراً لتحطيم العلاقات بين أفراد أسرتي ، وأيضاً لم أسمع هذه المرة كلمة واحدة عن زوجتك .

ترى ماذا تفعل هذه السيدة عندما تعلم فجأة أن لك ابناً ؟"

www.elromancia.com

تجمد الرجل لحظة وظهرت خطوط وجهه أكثر حدة في المرآة التي كان ينظر فيها . استرسلت "استيفاني" دون أن تخفي إحساسها بالنصر : "جميل .. جميل .. يبدو أن السيد "تايلر" بمهارته الشديدة قد أغفل هذه المشكلة الصغيرة ."

تنهد "مكسيم" واستدار ناحيتها ببطء قائلاً :

"لقد ماتت زوجتي ."

- "آ .. آسفة .ما كان يجب أن أقول .. أعني لو كنت أعرف ما ذكرت أبداً ..."

- "توفيت "إيستل" منذ أربع سنوات .. لا شيء يجرح مشاعرها الآن .

كانت مناورة لا بأس بها من طرفك يا "استيفاني" ، ولكن هكذا تجدين أن السيد "تايلر" بمهارته " هو سيد الموقف ."

صرخت حزينة يائسة :

"يجب أن أخرج من هنا .. يجب .. "

- "لا .. لن تخرجي . وأمسك بها من ذراعيها ناظراً إليها فقالت :

دعني .. دعني أرجوك .. "

- "لا .."

ردت لاهثة :

"مستحيل .. مستحيل أن نبقى هنا طول الليل . أريد بعض الوقت .. بعض الوقت لأفكر "

- "لن تبعدي عن ناظريّ حتى نسوي هذه المناقشة ."

وخلصت نفسها من قبضته وهي لا تكاد تقوى على الوقوف فسقطت منهارة على الفراش وعيناها ملأى بالدموع .

- "استيفاني" .. أنا .."

- استحلفك بالله ! .."

ألا تفهم ؟ ألا تدري ماذا تصنع بي ؟ .. لقد حطمت حياتي كلها .."

- "هذا يدعو للسخرية .."

- "كلا .. كلا .. ألم تفكر فيما سيحدثه سلوكك هذا في "آدم" ؟ ترى ماذا سيكون شعوره ؟ ولكن لماذا تهتم .. طالما بمقدورك أن تثبت ما تسميه حقوقا .."

- "هراء .. اهدئي .. اهدئي ."

كانت لاتزال تبكي وقد طفح بها كل ما اختزنته من انفعال ومعاناة خلال الأسبوعين الماضيين ، وارتجفت فسقط المشط من شعرها فانهارعلى كتفيها كاكوام من الذهب . قالت :

"لن أهدأ .. كلا . لا يهمني أن يسمعني العالم كله ، والفضل لك . عما قليل يسمع الناس عن ماضي الآثم ولن يضيرني بعد ذلك أن تسوء علاقتي بابنة زوجي . ماذا يفيد الشرر في كومة من النار ؟

.. وابني أيضا سوف يرحل بعيداً عني .. "

وتركت نفسها لموجة من الدموع فاقترب منها "مكسيم" وطوقها بين ذراعيه .

- "آه يا "استيفاني" . لا تبكي هكذا . ستمرضين .."

- أنا آسفة .. أنا لا أعرف ماذا حدث لي .."

- "حاولي أن تهدئي ولا داعي لهذه الدموع .."

وذات لحظة مجنونة غريبة وجدت نفسها تستند إلى كتفيه تستشعر قوة العضلات في ذراعيه ودفء أصابعه تعبث في وجنتيها وتسحب الشعر من على وجهها . أعادت إليها هذه اللمسات كثيراً من الذكريات القديمة الحلوة المرة فاعتصرها الألم وجاهدت حتى لا تنخرط في مزيد من البكاء .

وأخذ "مكسيم" يمسح الدموع عن عينيها ويقول :

"يكفي هذا يا حبيبتي .. أنا أعرف أن ما قلته يشكل صدمة بالنسبة لك ، ولكنني لم أقل أبداً أنني سآخذ "آدم" من حضانتك .. هه ؟ "

- "ولكنك كنت .. كنت سخيفاً .. فظيعاً .. وهددتني ! "

وأمسكت بالمنديل لتمسح دموعها المتساقطة . استطردت :

www.elromancia.com

- "وأيضاً . أنت قلت .."

- "أنالم أقل أبداً أني سآخذ الولد منك . أي رجل هذا الذي تظنين بي ؟ "

- "لم أكن في حاجة للتفكير وأنا أعرف كم أنت قاس وجـ .. جبان ! .. أنت لا تهتم بما تفعل .. ولا بمن يصيبه الضرر من أفعالك .."

- "هذا غير حقيقي ! "

- "غير معقول ، وكيف لا أعرف ذلك بعد أن وطأتني بقدميك في "نيويورك" ؟ "

تنهد الرجل وقال : "هناك أشياء كثيرة أريد أن أناقشها معك مثل علاقتنا السابقة و... "

- "هذا ماض بعيد ، ولست أهتم اليوم إلا بـ"آدم" وأقسم أني سأقتلك إن حاولت أن تصل إليه بيديك ! "

- "أرجوك يا "استيفاني" أن تكفي عن هذا الهراء . دعيني أعترف لك بأني كنت قاسياً فيما مضى ، وربما كنت أيضا لا أهتم بمشاعر الناس .."

- "هذه الصفات بسيطة بالنسبة لحقيقة ما أنت عليه .."

- "لا بأس ، ولكن هل تتكرمين بالنظر إلى الأمور من ناحيتي أيضا ؟ قد يحيرك ظهوري مرة أخرى في حياتك ، وتجهلين مشاعري عندما رأيت "آدم" لأول مرة .. هناك أشياء كثيرة لا تعرفينها . أنا لا أظن مثلا أن شيئا باغتني في حياتي كلها مثل ظهور ابن لي ."

احتجت وهي تعلم أنه لا جدوى من ذلك : "ليس ابنك .."

- "دعينا إذن نناقش هذا الموضوع حتى ننتهي منه ."

ورفعها بين ذراعيه فأجلسها على الفراش وأحاط ظهرها ببعض الوسائد . أردف :

"هناك بعض الحقائق المهمة التي يجب أن تسلمي بها يا "استيفاني" . لقد أدركت أن "آدم" ابني منذ أن وقع نظري عليه لأول مرة ، ولا يخالجني شك في ذلك . إن إنكارك لذلك أو إثباته لا يهمني في شيء .. لأنني موقن هذه الحقيقة

وأشعر بحدسي بها . ويجيء بعد ذلك الشبه الكبير بيننا .. هذا الشبه لن يمنع الناس من استنتاج العلاقة بيننا .."

- .."هذا لو أقمنا جميعا في نفس القرية : إن الوقت في صالحنا وبمقدور أحدنا أن يرحل .."

- "ماهذا الكلام ؟ لقد بدأت الآن فقط تفكرين ، ولعلك تدركين أنه من العبث أن تهجري بيتك وعملك . أما أنا فقد أنفقت بضعة ملايين في شراء هذه الضيعة ، وهذا ليس أيضاً بقليل .

ومن ذلك يتضح أن فكرة أن يغادر أحدنا القرية فكرة سانجة تماماً ."

- "وماذا تظننا فاعلين إذن ؟ "

- أنا مسرور لأنك تتكلمين بصيغة المثنى . على الأقل هذا يشعرني بأني طرف في الموضوع ..

حملقت في عينيه ونظرت إلى يديها اللتين كانتا بين يديه السمراوين وعقبت :

"أنا لا أفهم كيف تصبح المشكلة بهذا الشكل أقل قبحاً ؟ "

- "إذا اتفقنا على التعاون معا فلن يكون هناك وجود لأي كآبة أو حزن . لقد أردت فقط أن أشعرك بحقوقي العرفية والشرعية حتى تدركي مبلغ جديتي بعد أن أخفيت عني كل المعلومات عن "آدم" طوال السنوات التسع الماضية . ربما كانت هناك أسباب قوية دفعتك لذلك ولكن الحال تغير الآن لأني أنوي أن أشترك في تربية ابني خلال السنوات القادمة ولاغرابة في ذلك على الإطلاق ، طالما أنني لن أتسبب في خلق مشاكل لك أو له .."

- "هذا صعب وغير قابل للتنفيذ .. مستحيل ! "

- "بالعكس . فعلى الرغم مثلاً من أني أريد أن أرى ابني كل وقت إلا أني أدرك ما يتطلبه ذلك من حيطة وحرص ، وأمل أن يدرك ابني بعد فترة أني أبوه دون أن يصدمه ذلك . الله وحده يعلم مدى ذكاء هذا الطفل الذي قد يجعله يصدم نفسه مبكراً .

www.elromancia.com

أما عن الناحية المادية فبمقدوري أن أقدم له الكثير كما ترين ."

أرادت أن تفعل شيئا وهي غاضبة ولكنه قاطعها :

- "لا .. لست غبياً إلى الحد الذي يجعلني أتوهم شراء مشاعر ابني بالمال ، ولكنه بصفته ابني ووريثي سيشعر بكثير من الفرص والمميزات في الحياة ، وهو ما لا يتاح له الآن . فكري في ذلك أيضاً ."

قال ذلك ونهض من جوارها قاصداً الركن الذي وضع فيه جاكتته ورباط عنقه ليرتديهما . وفي نفس الو قت فكرت "استيفاني" : في مغزى قوله ، ولم تستطع إغفال الكلمتين الأخيرتين .

حقا ماذا عن مستقبل الطفل ؟ ترى ماذا يكون الموقف عندما يكبر "آدم" ؟ هل يغضب منها إذا عرف أنها منعته ميراث أبيه ؟

إن "مكسيم" على حق ، ولكن ماذا عساها فاعلة . إنها تلم بكل المشاكل بأبعادها وجوانبها .. أما عن الحل فلا تدري .

قال "مكسيم" : أراك منهكة القوى .. هيا أوصلك إلى منزلك ."

- "ماذا ؟ "

- "لا داعي لكل هذه الدهشة . لطالما كررت خلال الساعتين الماضيتين أنك تريدين أن تغادري هذا المكان ، فهل غيرت رأيك ؟ "

- "لا ولكن .."

- "أنا أشعر بالبرد ، وأنت تشعرين بالإجهاد وأتصور أن وجبة ساخنة لكلينا يمكن أن تجعلنا في حال أفضل بكثير .

ولعلك تعرفين أن النساء إذا كن جميعاً يبدون قبيحات بعد البكاء ، فأنا أراك مرعبة .."

- "إذا كنت أبدو كما تقول فهذه غلطتك .."

- نهضت من فراشها دون احتجاج وذهبت إلى التواليت . حدثت نفسها وهي تنظر في المرآة :

إن كلمة مرعبة لا تعبر بحق عن شكلها ، لأنها كانت تبدو أقبح بكثير . ولم تكن تستطيع أن تفعل كثيراً - خاصة وأن هذا الحيوان يقف بالخارج يضرب الأرض برجله من حين لآخر دلالة على عدم الصبر ، ثم إنها لم تكن تكترث بهيئتها في هذه اللحظة قدر رغبتها في العودة بسرعة إلى منزلها الذي أوحشها كما لم يوحشها في حياتها من قبل . على الأقل في منزلها يمكن أن تشعر بالهدوء والأمان بعيداً عن الشخصية الطاغية "مكسيم" .

مشطت شعرها بسرعة ووضعت بعض الطلاء فوق شفتيها ووجنتيها فأحست بشيء من الثقة في مظهرها ثم غادرت معه الشقة . قالت وهي تجلس في المقعد الخلفي للسيارة الليموزين :

"إن ما اقترحته لا يلفت اهتمامي وأعتقد أنه تفكير ساذج . لاشك أني سانجة أيضا لركوبي هذه السيارة الفارهة معك وجلوسي في المقعد الخلفي إلى جوارك كانت عندك فيما مضى سيارة أخرى لامعة ، ماذا حدث لها ؟ هل تحطمت في حادث ؟ "

- "لم يحدث . قلت لك إني قادم تواً من أمريكا ولما كان من الطبيعي أن أشعر بالتعب بعد الطيران الطويل فقد أمرت سائقي أن يقابلني في المطار ليأخذني إلى عندك .."

- "ولكننا تركنا سيارتي وسوف أحتاج إليها غدا للذهاب إلى عملي و..."

قطعت جملتها عندما لاحظت السيارة تنعطف بهما منعطفاً مختلفاً عما توقعت :

هذا الطريق لا يؤدي إلى منزلي ..."

كان يجب أن تخبر السائق ليأخذ الطريق الأيسر . لابد إذن أن ينعطف مرة أخرى عند الميدان .. "

- "لا أظن ذلك "

- "كيف ؟ إن لي منزلا في هذه القرية عشت فيه منذ سبع سنوات ، ومهما كانت ثورتي أو انفعالي فلابد أن أعرف المكان الذي أعيش فيه .."

www.elromancia.com

- "طبعاً .. ولكننا ذاهبان إلى منزلي أنا .."

- ماذا ؟"

- "لتناول طعامنا ونتناقش فيما يدور حولنا لعلك ترغبين في معرفة التغيرات التي أدخلتها على القصر ."

قالت متعففة غاضبة . وإن كان صوتها خانها :

"لا .. لا .. خذني إلى منزلي فوراً ."

وكان الرد عبارة عن ضحكة تهكمية تبعث حقاً على الغضب والجنون فحملقت في وجه "مكسيم" وحدثت نفسها وهي الكارهة للعنف من أي نوع بأنها لو كانت تريد أن تفعل شيئاً في هذه اللحظة لتمحو هذا الرجل الكريه من الوجود لما ترددت أبداً .

الفصل الخامس

- "هل لك في مزيد من الكيك ؟"

"أنا ؟ .. لا ..لا . كانت لذيذة حقاً ولكنني لا أستطيع أن أتناول منها أكثر من ذلك"

لم تبالغ فيما قالت ، فبعد الغداء الذي تناولته مع المحاسب "جاي" وحضورها إلى هذا القصر لتناول وجبة من ثلاثة فصول لابد أن تشعر بالتخمة التي لا يفيد فيها تناول أي شراب يساعد على الهضم .

حاولت أن تحصي عدد كؤوس الشراب التي تناولتها فلم تستطع ، فضلا عن أصناف الطعام المتنوعة الأخرى . ولم يبق بعد كل ذلك إلا أن تعود إلى منزلها..إن سمح لها "مكسيم" بذلك . ألقت عليه نظرة سريعة عبر أهدابها فرأت علامات العزم والإصرار ترتسم على قسمات وجهه وفقدت الكثير من أسباب التفاؤل . "مكسيم" رجل يستطيع أن يعمل أي شيء ولا يتورع عن عمل أي شيء مهما كان ، وإذا كان قد عاملها بكل الأدب والاحترام منذ وصلا إلى القصر فهذا كله تمثيل لا يجوز أن تنخدع به .

وكان لتأثير الطعام والشراب فعل السحر عليها ، فزال كثير من شعورها بالغضب والحنق .

وأيضاً كان لحديثه البريء معها أثر كبير في ذلك ، إذ راح يحدثها عن تجديد وإصلاح الديكورات الداخلية لبعض الحجرات القديمة في القصر .

كان كل منهما يجلس في استرخاء وقد خلا الجناح من الخدم وغيرهم ، وقال "مكسيم" :

- هل تريدين بعض الجبن ؟ أو ربما بعض الفاكهة " ؟

هزت رأسها وردت : "لا .. كفى .. شكرا ."

www.elromancia.com

– "هل نذهب إذن إلى حجرة المكتب لتناول القهوة ؟"

أحست أنها كالشاة تساق إلى المذبح رغما عنها فتنهدت ثم نهضت واقفة على قدميها .

لم يلق "مكسيم" بالاً لكل ذلك وأردف :

"أعرف أنك ربما تفضلين تناولها هنا في غرفة الطعام ولكن وجودنا في غرفة المكتب سوف يعطي فرصة للخدم لينهوا عملهم بشكل أسرع ."

كانت الحجرة أقل حجماً من حجرة الاستقبال وكانت مظاهر البذخ فيها واضحة جلية ففيها ، مكتب فخم وستائر عالية تغطي النافذة خلفه ، وهذان هما كل ما يمكن أن يبرر صفة "حجرة المكتب" على الحجرة .

ربما كانت كلمة مكتبة أكثر ملاءمة لأنها كانت ملأنة بالكتب على جانبي المدفأة ، وكل شيء فيها يدعو للهدوء وينطق بالأناقة . استهل "مكسيم" الحديث :

"لم لا تجلسين وتشعرين كأنك في بيتك هه ؟"

أسرت في نفسها : هكذا قال العنكبوت للذبابة ، وغاصت في أحد المقاعد الوثيرة . قالت :

أرى أن لديك الكثير من الكتب هنا . هل قرأت بعضاً منها حتى الان ؟"

– "لقد قرأت معظمها بطريقة أو بأخرى . أنا أجمع الطبعات الأولى دائما من كتب مشاهير الأدباء ، والواقع أن أكثر الكتب التي لدي يوجد في بيتي بأمريكا."

كانت كلما أرادت أن تسخر منه رد عليها وقهرها فلا تملك إلا الاستسلام والشعور بالخجل . يجب ألا تضيع وقتها في محاولة تسجيل أهداف في مرمى "مكسيم" .

وفي تلك الأثناء كان هو يفتح خوانا ويخرج منه زجاجة شراب وبعض الكؤوس المتلألئة . قال وهو يصب كأسا لنفسه : "مشروب منلج ."

– "لا .. شكرا."

– "بل يجب لأن ذلك سيساعدك على الاسترخاء .."

وأخذ يصب لها كأساً ومازالت تهز رأسها بعدم الرغبة . يساعدها على الاسترخاء ؟ ياللمهزلة !

إذن فقد فهم أن كل ما شربته أثناء الطعام كان للاسترخاء أيضا .

إنها ليست مدمنة للشراب بالطبع ، وإذا كانت قد شربت شيئا فلكي تخدر أعصابها المتألمة الصارخة عندما أتت إلى منزله .

وإذا كانت قد نجحت في ذلك فلسوء الحظ أن إحساسها بالحذر قد زال أيضا ، وإلا فما الداعي لأن تجلس هنا إلى جواره تفصل بينهما بوصات معدودات ؟ لو كان في عروقها جزء يسير من الكرامة لهبت الآن من جلستها هذه وخرجت من الغرفة بأسرع ما تستطيع قدماها .

– "في صحتك ."

– "هه !"

– "دعينا نشرب نخب علاقتنا المستقبلة ."لماذا لا تشاركينني الشرب ؟"

– "لأنني لا أوافق على ما قلت ولا أريد أن أشرب كحوليات .

رد مبتسما : "إذن فقد وصلت إلى نقطة النهاية ."

هزت كتفيها وصبت لنفسها بعضا من القهوة محاولة أن تعود لهدوئها . قالت وهي تنظر حواليها :

– "هذه حجرة جميلة ! متى يتم عمال البناء عملهم في القصر كله ؟ لابد أنهم كثيرون ويعملون نهارا وليلا حتى أمكنهم أن ينجزوا كل ذلك في هذا الوقت القصير ."

ضحك وقال : "مرة أخرى يا "استيفاني" ؟ لقد قتلنا هذا الموضوع بحثاً ومللت الحديث فيه .. أفرغ ما بقي من كأسه في حلقه واستطرد : والآن جاء وقت الحديث في المسائل العائلية ..

ارتعش الفنجان في يدها واصطك بالطبق وردت : "هذا ما كنت أخشاه ، وإذا

كنت ستهددني مرة أخرى بـ "آدم" ..."

- "لا .. لا ، لا أنوي ذلك ، ولكنني بطبيعة الحال أريد أن أعرف المزيد عن ابني ، فهو مثلا غير موجود في منزلك الآن وأظن أنك ألحقته بمدرسة داخلية في "لندن" ..

أليس كذلك ؟"

- بلى . لقد أمضى حوالي سنة في المدرسة الداخلية بالقرية .. ولكن مدرسيه قالوا لي إنه ذكي ونبيه .."

- "فعلاً . أظن أنه كذلك . لقد كان على حق عندما سخر من الطريقة التي لعبت بها الشطرنج ."

- إنه يحب مدرسته كثيرا ، وهم يستضيفونه أيام العطلات دون مقابل وإن كنت أفضل إقامته في المنزل في تلك الأوقات . والحقيقة إنني أشعر بشيء من الذنب لإبعاده هكذا عني وهو بعد في هذه السن ، ولكنني مضطرة إلى العمل بعد وفاة "جيمس" .. لم يكن لي خيار في أي شيء .."

- "لا بأس يا "استيفاني" . لا لوم عليك لأي قرار اتخذته في أثناء تلك الظروف."

- "نعم . كان ضروريا أن ألتحق بوظيفة أو أقيم لنفسي عملا خاصا ، وتطلب ذلك أن أبيع البيت الذي تركه لنا "جيمس" في "لندن" وأن أنتقل للعيش في هذه القرية حيث تقل مصاريف السكنى وافتتحت محلاً للمشغولات الصوفية ومشت الأمور .. وأنا الآن مشغولة كل الوقت .."

- "ولماذا قررت أن تأتي إلى هذه الناحية بالذات ؟"

- كنت قد حصلت على مبلغ لا بأس به من بيع المنزل قدر استئجار المحل وشراء المكان الذي نعيش فيه . أما لماذا هذه القرية "

- وضحكت . - "فقد تظنني مجنونة إن قلت لك السبب الحقيقي .."

- "ماهو ياتري ؟"

- "إنه اسم القرية .. كان نفس اسم المكان الذي عشت فيه من قبل ، وكنت قد رأيت الإعلان عن المحل في الجريدة فتفاءلت ."

وصمتت فجأة في خجل بعد أن أدركت أن حديثها هذا يشير إلى المكان الذي تقابلا فيه لأول مرة . لاحظ "مكسيم" ذلك ورأته يطبق شفتيه فصارتا كخط حاد وينهض ليملأ كأسه .

قال وهو يتنهد مواجها إياها :

"أنا لا أغفر لنفسي ماحدث .كان يجب عليك أن تخبريني بالحمل ."

- وكيف ذلك ؟ في الوقت الذي اكتشفت فيه أني حامل كنت أنت قد عدت إلى زوجتك بعد أن قلت لي وداعا .."

- "مهما يكن . ما كنا لنعدم وسيلة لمواجهة المشكلة ."

- "مثل ماذا ؟ هل كنت تقول مثلا إن زوجتك سوف تطير من الفرح إن عرفت بهذا النبأ السعيد ؟"

- أنا لا أنكر أنها كانت مشكلة ، ولكن كان يجب أن تقدري مشاعري إذا حدث وعرفت ."

كان هذا بالنسبة لها منطقا معكوساً فردت تقول :

- "ماعندك هو ما كنت أريد أن أسمع فاعلم إذن أن مشاعرك المرهفة كانت آخر شيء أفكر فيه .."

- "حسنا . وهل تفكرين فيها الآن ؟ ماذا تظنين بمشاعري عندما أعلم بالفقر الذي كنت تعانينه وحاجتك للعمل حتى تربي ابني ؟"

- "لحظة من فضلك . إنني وعائلتي لم نكن بهذا الفقر الذي تتصوره أبداً . وإذا كنت قد احتجت إلى العمل ، فليس في ذلك ما يشين على حد علمي . إن الحمقى فقط هم الذين يتوهمون أن المال يشتري السعادة .

- شكراً - ثم إنني لست في حاجة إلى محاضرة في الفلسفة . كل ما كنت أرجوه منك كلمة واحدة . أن تقولي لي إنك ستصبح أبا - كلمة واحدة كما ترين ،

www.elromancia.com

وكان من المنطقي بعد ذلك أن أقوم بكل ما أراه مناسبا لرعايتكما ".

كان يتكلم بمرارة وأغمضت "استيفاني" ـ عينيها تستمع إليه . مالت إلى الخلف وقالت :

– "إلام ترمي بالتحديد ؟ هل هو ضميرك يعذبك أم تريد أن تصرخ فيّ أم ماذا؟

"كل ذلك لن يفيد ."

لم يرد "مكسيم" على الفور ، وكان يقطع الغرفة جيئة وذهابا فنظر إليها نظرة فاحصة من تحت جفنيه الثقيلين وقال :

"أرى أنه يجب أن تجرعي هذا المشروب .. فأنا أحس أنك سوف تحتاجين إليه."

– "لا ، إنني ..."

– "أنا آسف يا "استيفاني" ، فعلا لا جدوى من اجترار الماضي . المستقبل فقط هو الذي يجب أن نتناقش بخصوصه وأخذ من يدها فنجان القهوة وأعطاها كأس المشروب المثلج بدلا منه وهو يقول :

"إن وجهك يبدو شاحبا وسوف تشعرين بالتحسن بعد تناول هذا "

– "لا .. أنا فعلا . لا .."

– "بل اشربيه ."

ثم قال :

– "هذا أفخر أنواع الشراب . ستشعرين بالتحسن حالا يا حبيبتي .."

ساورها الشك فيما قال خاصة بعد أن ناداها بحبيبتي بصوت منخفض جذاب وأحست في نفس الوقت بساقه القوية تلامس ساقها ويده تربت على كتفها .

ارتعشت رغما عنها ودهشت لاستسلامها في الوقت الذي يجب أن تكون فيه على النقيض من ذلك .

نظرت إلى عينيه فراعتها نظرات الإثارة وعلامات الرغبة في وجهه . صاحت :

" لا يا "مكسيم" ."

كانت تلهث وترتعد من حرارة يديه تعبثان بشعرها وترميان بالمشط بعيداً .

كررت الاستغاثة :

"أرجوك . كف عن هذا ."

وسقط شعرها حول كتفيها وبدت غير قادرة على منعه من أن يسحبها إلى جانبه ببطء .. وبيده الأخرى رفع رأسها ناحيته فاتسعت عيناها الزرقاوان رغم شحوب وجهها وأخذت تنظر إلى وجهه المثير وفمه المتصلب .

أدركت أنه سوف يقبلها ولكن الشعاع المنبثق من عينيه كان يسيطر عليها كالتنويم المغناطيسي فلا تقدر على المقاومة .

بينما كانت يداه تتحسسانها .

أخذت تنتفض بين ذراعيه وقد تعلقت بقوة إلى رقبته وشعره في استجابة محمومة لقبلته .

ثم قال لها :

"آه يا "استيفاني" يجب أن أخبرك أنـ ..."

أيا كان ما أراد أن يقول فقد ضاعت بقية الكلمات إثر سماع رنين التليفون الذي قطع عليهما استغراقهما في ذكريات الماضي . مرت بضع لحظات وسط الرنين المتلاحق للجرس حاول كل منهما فيها أن يستعيد سيرته الأولى . نهض "مكسيم" في تثاقل إلى جهاز التليفون وقال في صوت كعواء الكلب الغاضب :

"نعم ؟ ..آه .. أهذا أنت .."

سوف ينتهي "مكسيم" من مكالمته بعد دقيقة فماذا بعد ذلك ؟

كيف تبرر سلوكها هذا إذا كانت هي نفسها لا تفهمه ؟ .

لم يكن من المجدي أن تركز في المشكلة الراهنة وجسدها يضطرب هكذا مثلما تضطرب أسطح الطبول .

لقد أيقظ "مكسيم" فتيلات أعصابها جميعا .

لم يصل إلى سمعها شيء مما كان يقول ولكنه كان يبتسم من حين لآخر وكانت

نبراته تحمل معاني الود لمحدثه . لابد أنها امرأة على الطرف الآخر .. حقا ، ولم لا ؟

إنها غاية الأمر واحدة في سلسلة طويلة من النساء اللاتي يعرفهن وكلهن – مثلها– حريات بأن يشغلنه ويسعدنه إلى نهاية القرن التالي .

وضع "مكسيم" السماعة واستدار ناحيتها قائلا :

"آسف لهذه المكالمة .. كان المتحدث .."

– "واحدة من صديقاتك .."

– "ماذا ؟ لقد كان "بول" هو المتكلم .. ابن زوجتي "

– "آه . تذكرت .. لقد سمعت شيئاً كهذا من قبل . كم عمره الآن ؟ "

– "هو في الثالثة والعشرين الآن . إنه يثير بعض المشاكل لأنه يريد أن يعمل موسيقيا ، وأنا لا أرحب بذلك رغم معرفتي بموهبته في العزف على الناي ."

قالت وهي تعبث بأصابعها بين الوسائد تبحث عن مشطها اللعين :

"إذا كان الحال كذلك ربما كان من المناسب أن تدعه يمارس هذا العمل جزئيا .."

– لسوء الحظ أن الأمر ليس بهذه السهولة لأنه سيرث إمبراطورية مالية كبيرة ، وكنت قد وعدت أمه .."

ولم يكمل إذ رآها تنظر إليه . أطبق فمه ورأت عضلة تنبض في فكه فحولت عينيها عنه وظهر لها فجأة أن لا شأن لها بكل هذه الوسائل ليتها تعثر على المشط حتى تخرج من هنا بما بقي لها من كبرياء .

صاحت وهي تمنع نفسها من نوبة بكاء ودموع مهينة :

"أين هذا المشط . ؟ "

– "انظري جيدا حيث أنت ."

واقترب منها برقة فأخرج المشط من تحت إحدى الوسائد ووضعه في يدها المرتجفة . قال :

"سأحضر لك معطفك وسوف آمر بالسيارة فتحضر هنا إلى الباب الأمامي ،

وخلال ذلك يمكن أن تسوي مظهرك كما تحبين .. هه ؟ "

ركبت السيارة إلى جواره وهي منهكة متعبة وأخذ هو يقود عبر الطريق الطويل المغطى بالحصى ، قال :

"سامحيني يا "استيفاني" ."

– "لا أدري . بعد أن قبلتني هكذا و .."

ضحك عاليا ورد :

"لا ..لا .. ليست لدي أي نية للاعتذار عن القبلة ، بل إني حزين للمكالمة التليفونية التي قطعت علينا هذه اللحظات "

– "أنت تثير الاشمئزاز "

ضحك ثانيا :

"أنا ؟ غريب ! أنا لا أذكر أنك شعرت بالاشمئزاز في أثناء القبلة .. لقد كنت في غاية الهدوء ..."

– "اخرس"

ومرت بينهما لحظة من الصمت قطعها "مكسيم" بقوله :

– "سوف أبدأ من جديد . عندما عبرت لك عن أسفي ، وطلبت منك أن تغفري لي ، كنت أعتذر عن الإزعاج الذي سببته لك بظهوري في حياتك . لن أتظاهر بأن الأمر كان سهلا بالنسبة لكلينا ، لأنه في الواقع ليس كذلك .

– "عظيم . هائل . كرر ذلك مرة أخرى ."

تنهد بنفاد صبر وهتف :

"أرجو أن تكفي عن مقاطعتي بهذه الجمل الساذجة التي لن تفيد ."

صمت برهة ثم أردف :

أنا واثق أننا بقليل من الصبر والنية الحسنة سوف نعبر هذه المرحلة الحرجة من حياتنا .

– وما مكافأة تخمين من يطلب منه الصبر ومن يتحلى بحسن النية " ؟

www.elromancia.com

– "لا أعرف . فأنا مثلا أظهرت صبراً لا ينفد فيما يختص بصديقك أو حبيبك."

حملقت في ملامحه المنحوتة بصلابة وقالت في ارتباك : أي صديق هذا ؟ "

– أنا أقصد ذلك الأشقر المتحرر . صاحبك الذي قبلته بهيام خارج المحل في ظهر هذا اليوم . أدركت – وسط الدهشة – أن "مكسيم" كان يسترق النظر إليها من نافذة الشقة التي تعلو المحل .

– "هل تعني "جاي" لم أكن .. أعني ..."

– "أنا لا تهمني التفاصيل ، ولا أية علاقة أخرى كانت لك في الماضي ..."

– "لم تكن لي علاقات .."

هز كتفيه وقال :

بما أني والد "آدم" أجد من الضروري أن أهتم بتصرفاتك المستقبلة ..

– تصرفاتي ؟

– .. "ولن أسمح بمثل هذا السلوك أن يتكرر ."

فتحت فمها وأغلقته وهي تحاول أن تفهم الجملة الأخيرة . إن أحداً لم يقل لها جملة كهذه طوال حياتها ولكن ها هي تسمعها ، ومن "مكسيم" بالذات من دون الناس جميعا . لابد أنه يهزل . نعم كان يهزل بلا شك .

قالت :

"اسمع .. أنت تحاول أن تمزح وأن تكون ظريفاً .."

ونظرت إلى وجهه فلم تكن إلا علامات الجد والحزم فاستطردت : "لأن ما تقول غير معقول "لا يصدقه عقل .."

رد في صرامة :

"إنني أتوقع منك كوالدة "آدم" أن تكوني مثل زوجة قيصر الروم .. فوق الشبهات ."

– "وهل أتتك الشجاعة .. أيها الشرير لكي تقول لي ذلك ؟ "

وكانا قد وصلا إلى المنزل فأخذت تبحث عن المفتاح في حافظتها في حين غادر هو السيارة ليفتح لها الباب . عقبت "استيفاني" :

"دعني أقل لك إني سأرى من أحب عندما أحب ولا شأن لك بذلك على الإطلاق "

– "خطأ يا عزيزتي . أستطيع أن أذهب إلى المحكمة وأطلب حضانة الولد "

– "لا .. لن تستطيع.."

وأخذ المفاتيح من يدها المرتعشة وسبقها بخطوات إلى الباب فهرولت في أثره . قال :

"طبعا لن أصنع ذلك .."

واستدار ناحيتها رافعا إصبعه أمام خدها المتقع وأردف :

– "طالما تستمعين لما أقول وتتخلصين من صديقك الأشقر ."

– "ولكنني لا أستطيع ذلك لأنه المحاسب الذي يرعى شؤون المحل "

– "من المؤسف أن تضطري للتعامل مع غيره .."

– "هذا ابتزاز وتهديد لن أستسلم له .. ليس من فأر بغيض مثلك ."

ودخلت إلى الصالة دونه وصفقت الباب خلفها قبل أن يدخل .

وسمعت صوت موتور السيارة ورأسها يكاد ينفجر كانت تريد أن تبكي وتولول حتى يأتي رجال الإنقاذ في معاطفهم البيضاء لينقلوها إلى المستشفى .. بعيدا .. بعيدا عن هذا الكابوس المخيف الذي وجدت نفسها فيه .

www.elromancia.com

الفصل السادس

أحست "استيفاني" بالانشراح وهي تجد النوتة الموسيقية للكمان تقود الأعضاء الأخرين في الأوركسترا أثناء عزف الحركة الأولى من معزوفة "لابريما فيرا" أو "الحقيقة الأولى" كجزء من مؤلف "فيفا لدي" المشهور باسم "الفصول الأربعة".

أغمضت عينيها ومالت إلى الخلف في مقعدها مسترخية تتمتع بتأثير الموسيقى.

لم تكن شديدة الرغبة في الحضور إلى هذا الكونسيرت بعد القلق الذي عانت منه خلال الأيام القليلة الماضية.

كانت أمانيها تنحصر في أن تغمس ساقيها كل يوم في حمام من الماء الدافئ ثم تستريح في الفراش بعد ذلك، ولكنها لم تشأ أن تخيب ظن "جاي" فيها فاغتسلت وارتدت فستانا حريريا أسود، واستعدت لتحية المحاسب عندما جاء ليصحبها معه.

كان هذا أقل ما يمكن أن تفعله بعد المشقة التي تحملها للحصول على تذاكر الحفل الموسيقي - وأيضاً كانت المناسبة فرصة لها لتثبت لـ "مكسيم" عدم انصياعها لا بتزازه وتهديده، وإن كان حضورها إلى هذا المكان لا ينبغي أن يثير اعتراض أحد لأن الحفل عام والمكان عام.

إنها تذكر العشاء الذي تناولته معه كأنه كارثة حلت بها، إذ لم يغمض لها جفن في تلك الليلة تضرب أخماسا في أسداس، ولم يكن لها خيار في اليوم التالي في أن تذهب إلى المحل حيث استغرقها العمل طول اليوم.

كانت المشكلة الأولى التي قابلتها هي قدوم "ليزا" متأخرة عن موعدها، والأكثر من ذلك أنها قالت لاهثة:

"لن أبقى هنا طويلا يا حبيبتي. لقد أصيبت "كاتي" ابنتي بالانفلونزا المنتشرة

هذه الأيام ، وقد تركتها في رعاية إحدى صديقاتي ولابد أن أعود إليها بأسرع ما يمكن ."

وكان من الطبيعي أن تشعر "استيفاني" بمشاعر مساعدتها نحو ابنتها ذات السنوات السبع . إنها تعرف معنى تأنيب الضمير والشعور بالإثم لدى الأمهات اللاتي يربين أولادهن بمفردهن ولا يستطعن التواجد في مكانين مختلفين في نفس الأوان ، أي مع الأولاد وفي مكان العمل أيضاً .

قالت لـ "ليزا" :

- "لا داعي للقلق مطلقا . أستطيع أن أعمل هنا بمفردي"

- "يضايقني أنني لن أساعدك اليوم .. ولكن .."

- "هيا عودي إلى بيتك واعتني بـ "كاتي" ."

- "لقد اتفقت مع مربية لتعتني بها غدا ، ولذلك سأكون هنا باكرا في تمام التاسعة ."

وكان ما أيقظ "استيفاني" في صباح اليوم التالي هو رنين التليفون ، وكانت "ليزا" أيضا وعرفت أنها لن تستطيع أن تفي بوعدها .

هتفت "استيفاني" :

"ماذا حدث لصوتك ؟ يبدو أنك قد مرضت بنفس ميكروب "كاتي" . كيف حالك الآن ؟"

- "أكاد أموت . آسفة يا "استيفاني" . لقد حشوت نفسي بالأسبرين ولا أشعر بأي تحسن ."

- لا عليك . "ابقي بالمنزل ولا تعرضي نفسك للبرد . لا تفكري في العودة للعمل قبل أن تتحسن حالتك ، هل فهمت ؟"

والظاهر أن القرية كلها كانت تعاني وباء الانفلونزا هذا ، إذ تلقت "استيفاني" مكالمات تليفونية عديدة من البنات اللاتي يشتغلن بالإبرة عندها يعتذرن فيها عن الحضور واضطرارهن للبقاء في الفراش .

وبحلول اليوم التالي كان أكثر من نصف العاملات معها قد أبلغن بمرضهن ، ولم تكن هي تشعر بأن صحتها جيدة كذلك .

وعندما حل يوم الحفل الموسيقي ، لم تغادر عملها مبكراً عما اعتادت واكتفت بتحصين صحتها بكوب من الليمون الساخن ، وهكذا استطاعت أن تذهب إلى المسرح في هذه الليلة .

حاولت مرة أخرى أن تستمع إلى الموسيقى بعقل صاف ولكنها وجدت ذلك مستحيلا ، إذ كيف تهمل كل المشاكل التي تراكمت فوق كاهلها حتى أصبحت كالمحبوسة في علبة تملؤها الديدان .

بصرف النظر عن القبلة التي تبادلتها مع "مكسيم" ، والتي لا تعني شيئا بالنسبة له .. إلا أنها قد .. قد تدل على أنها مازالت جذابة بالنسبة له . إنها ناحية جنسية بحتة .

ولكن هناك العقدة الناشئة من علاقته "بكلير" ، هذه العلاقة التي جردت لقاءه بها من أي معنى .

وكانت "كلير" مشغولة طيلة الأيام القليلة الماضية ، إذ حاولت "استيفاني" أن تتصل بها في "لندن" ولكن أحداً في المنزل لم يتلق مكالماتها التي ضاعت هباء لم يكن في رأسها مدخل بعينه للحديث مع "كلير" . فلو حذرتها من "مكسيم" لكان معنى ذلك أن تصرح بعلاقتها العاطفية السابقة معه ولاعترفت لها بأن "آدم" ليس أخاها . وأيضا قد تتهمها ابنة زوجها بالغيرة منها ، فهل تستطيع أن تنفي ذلك ؟

كانت هناك حقيقة مخيفة تحيط بالموقف كله حاولت قدر جهدها ألا تفكر فيها ، ألا وهي غياب رباط الدم بينها وبين ابنة زوجها - رغم حبها لهذه الفتاة كأنها ابنتها تماما ورغم السنوات الثماني فقط التي تفصل بين عمريهما .

إنها مهزلة أن تقع هي و"كلير" في حب نفس الرجل . تململت في جلستها دليل عدم الراحة وراحت تشبه الموقف الذي تمر به بالفوازير الصينية المعقدة . وهذا

www.elromancia.com

الطلب المجنون الذي عبر عنه "مكسيم" بضرورة عدم مقابلة "جاي" .إن من يسمع ذلك يعتقد أنها سيدة سيئة السمعة ، وأن معرفتها بالمحاسب خارج نطاق الصداقة النظيفة . لاشك أن محتويات عقل "مكسيم" تشبه محتويات البالوعة .

إنها تحبه وتكرهه في نفس الوقت لأنها لم تستطع أن تتخلص من تأثيره عليها بعد كل هذه السنين .

هدأت الموسيقى تدريجيا واعتدلت "استيفاني" في جلستها وأخذت تصفق مع بقية الجمهور . وسألها "جاي" وهو يرفع صوته فوق ضجيج التصفيق :

"هل استمتعت بالحفل ؟"

– "هه ؟ نعم . تماما ."

وشعرت بالخجل لاستغراقها في أفكارها وانصرافها عن أجزاء كبيرة من العرض . أردف "جاي" :

– "لقد حجزت مائدة لتناول الطعام في القاعة الملحقة .."

شعرت "استيفاني" ببعض الغثيان عند ذكر الطعام وردت :

".. أنا .. أفضل ألا آكل شيئا على الإطلاق ، إذا سمحت لي .. إنني في الواقع لا أشعر بأني على ما يرام ."

– "أنا فعلا ألاحظ ذلك . لا تقلقي . سوف أصطحبك إلى المنزل . أرجو ألا تكوني قد أصبت بفيروس الانفلونزا المنتشر هذه الأيام ."

– "يا إلهي ! حتى أنا أيضا ؟ "فعلى الرغم من اضطرارها للقيام بكل أعمالها بمفردها ، كانت ستمر غداً على مدرسة "آدم" لتحضره معها إلى البيت بمناسبة انتهاء الفصل الدراسي . أدار "جاي" جهاز التدفئة في السيارة فأحست بالحرارة تعود إلى جسمها وأغلقت عينيها شبه نائمة حتى اقترب من منزلها ولم تلق بالا إلى صيحة الإعجاب والتحذير التي أطلقها "جاي" عندما قال :

"يالروعة هذه السيارة !"

أنا على استعداد لأن استغني عن أي شيء حتى أحصل على مثلها ."

شعرت بالخطر فقط عندما نزل "جاي" من السيارة وتقدم يفتح الباب المواجه لها ورأت "مكسيم" يخرج من سيارته أيضا وتوقعت كارثة تسقط فوق رأسها .

استهل "مكسيم" بنعومة :

"وجدتك أخيرا يا حبيبتي .."

– "ما .. ماذا تفعل هنا ؟"

– "حسنا أيتها الغالية . لقد حيرني غيابك دون أن أعرف أين ذهبت . لماذا تركتني أنتظرك كل هذه المدة ؟"

– "تنتظرني ؟ ولكنني لم .. أقصد أني .."

وتطوع "جاي" بالكلام وهو ينظر إلى السيارة مبهورا ، وإلى "مكسيم" أيضا :

"لقد ذهبنا لحضور حفل موسيقي في المسرح .."

– أحقا ذهبت إلى المسرح يا حبيبتي ؟ وهل نسيت موعد العشاء الذي كان بيننا ؟

– "أي موعد عشاء هذا ؟ أنت تعرف جيداً .."

رفع "مكسيم" كتفيه مقاطعا وقال لـ "جاي" :

"إنها دائما تفعل بي ذلك .. أنت تعرف هذا النوع من النساء – يلعبن بنا دائما نحن معشر الرجال المساكين ."

– "أنا .. أنا لا أفهم عم تتحدث ."

قالت "استيفاني" : "اسمع . إن هذا الموقف برمته يدعو للسخرية . هلا تكرمت بالذهاب عنا ؟"

– "لماذا ؟ لقد أمضيت أسبوعاً طويلاً شاقا .. بعيداً في "لندن" وكنت طول هذا الوقت أحلم بالعودة إليك حيث نقضي الليل معا ."

– ".. أيها الحقير الكذاب !"

تحول "مكسيم" نحو "جاي" وقال :

"هل تفعل معك ذلك أيضا ؟ .. أم أني الوحيد الذي لا أرقى إلى شرف معاملتها

الكريمة ؟"

– "كلا .. آ .. آ .. أنا آسف يا "استيفاني" . لم أكن أعلم أن لديك موعداً آخر."

– "ليست لدي أية مواعيد أو ارتباطات . هذا كله تهريج ! "

وتقدم "مكسيم" ليمسك بذراعها ويقول في إخلاص زائف :

"آه يا حبيبتي ! كيف تقولين ذلك ؟ لا يمكن أن نختلف ونتنافر هكذا ."

– "لا تلمسني أيها الرجل الدنيء . لا تصدقه أبداً يا "جاي" فكل ما يقوله تأليف كلام وافتراء ."

– "طبعا طبعا . أظنني .. أظن أنه من الأفضل أن أترككما ."

وقلد "مكسيم" طريقته في الكلام وقال :

"عظيم .. هيا افعل ذلك أيها الزميل القديم ."

وصرخت :استيفاني" وهي تحاول أن تلحق بـ "جاي" حتى تشرح له :

""سوف أقتلك يا "مكسيم" . سأنتقم منك ."

وقبض "مكسيم" عليها بذراعيه القويتين فمنعها من الحركة ومرت ثانية وجدته بعدها يطبق على شفتيها في قبلة طويلة مدمرة لم تجد معها ركلاتها ولا مقاومتها ، ولم يدعها إلا بعد أن غادرت سيارة "جاي" المكان . صرخت :

"كيف .. كيف تجرؤ على أن تفعل بي ذلك ؟ "

وكادت أن تسقط على الأرض من فرط الضعف والانفعال .

– "قلت لك تخلصي من هذا الرجل ."

وأمسك بحقيبة يدها فأخرج منها المفاتيح وفتح الباب . أكمل حديثه : وطالما أنك لم تلتزمي بذلك فقد قررت أن آخذ خطوة من جانبي ."

– "أرجو أن تكون سعيداً بما فعلت الآن ."

– "عندما تهدئين ستعرفين أني قد أسديت لك معروفا . هذا الرجل الذي تعرفينه هش العظام .. جبان ."

– "ولكن لا تعرف حقيقة الموضوع ، وبفضلك لن أكون في حاجة إلى محاسب ، لأنك قضيت على اسمي وسمعتي التي ستسقط في الحضيض بمجرد أن يتجرع "جاي" كأسا أو كأسين في أحد البارات . أشكرك كثيرا يا .. يا حبيبي."

– لا داعي للقلق .."

– هذه لن تكون مشكلتي وحسب ، لأن معظم زملاء "آدم" يعيشون" حولنا أيضا وسوف يصلهم الكلام عن سمعتي ، وسوف يعرف "آدم" بطبيعة الحال . ولكن لماذا تقلق أنت ؟ لقد نلت قسطك من الفكاهة لهذه الليلة ."

عقد "مكسيم" ما بين حاجبيه وقال :

"لا .. لا .. هذه مبالغة . لماذا لا نناقش ذلك بينما نحتسي فنجانا من القهوة ؟

– بالله عليك ، ألا تعلم أن هذه ليست "نيويورك" ؟ !

أنت لا تعرف شيئاً عن أخلاق الناس في قرية كهذه . وبالطبع لا .. لن أقدم لك فنجانا من القهوة ، بل إنك إن لم تخرج من منزلي خلال خمس ثوان – لا أكثر – فسأستدعي الشرطة ! "

وبالفعل أغلقت الباب في وجهه فتوجه نحو سيارته وقد غرق في أفكاره .

في صباح اليوم التالي استيقظت "استيفاني" من نومها وكأنها رأت كابوسا مزعجا . تناولت بعض أقراص الأسبرين لتقتل الآلام التي كانت تئن بها عضلاتها وأخذت تفكر . لو لم تكن معتلة الصحة والمزاج لاستطاعت أن تواجه بحكمة ضياع كل ما بنته خلال السنوات الماضية . إن من الضروري أن تهجر هذه المنطقة بأسرها فلا شيء يضمن لها أن "جاي" لن يتكلم عما حدث .

حتى لو أخبر واحداً فقط من أصدقائه العديدين لانتشرت الصورة التي رسمها لها "مكسيم" كامرأة متحررة لا أخلاق لها ويا للكارثة !! .

كانت تشعر بأعراض الانفلونزا وتمنت لو استطاعت ألا تخرج إلى المحل هذا اليوم ، ولكنها – على حد قول "ليزا" – لو كانت لها ساق في الدنيا وساق في

القبر لخرجت .. لكي تقابل "آدم" وتحضره إلى البيت . ارتدت ملابسها الثقيلة متثلة مستنزفة ، وذهبت ترفع الستائر فوجدت المطر ينهمر بغزارة ، وكأنها كانت في حاجة إلى ذلك أيضا .

كان يجب أن تخرج من المنزل الآن حتى لا تتأخر ، ودون أن تكون قد جهزت شيئا للأكل قبل عودة "آدم" . هبطت الدرج ببطء من فرط ضعفها ، سقط قلبها بين رجليها عندما سمعت رنين جرس الباب .

رفعت عينيها إلى النافذة لترى من الطارق وتسمرت في مكانها من فرط الدهشة والحنق . رأت السيارة الحمراء الفارهة تنتظر في الخارج ، صرخت : "مكسيم" مرة أخرى ؟ ! "

رن الجرس مرة أخرى وارتجف جسدها انفعالا . ماذا يريد الآن ؟ إنها لا تستطيع أن تحتمل أي شيء الآن خاصة وهي في هذه الحالة .

وفي الوقت الذي وصلت فيه إلى الباب مترنحة لم تكن لتهتم إن كان الشيطان نفسه هو الذي يطرق الباب قدر ما كانت تريد أن توقف ضربات الجرس في رأسها الغائب .

وما إن جذبت المزلاج حتى دفع "مكسيم" الباب ودخل لاهثا ينظر إليها في حنق .

كانت تتراجع إلى الخلف مذهولة . بادرها "مكسيم" ظننت أنك لن تفتحي الباب .

هل كنت تنوين أن تتركيني في المطر بهذا الشكل ؟ "

رفعت "استيفاني" يدها إلى حلقها المختنق من لفحة الهواء وقالت :

"ماذا جاء بك ؟ "

– "جئت أعتذر لك عما بدر مني أمس . الضوء هنا غير كاف ، ولكنك تبدين شاحبة الوجه . هل أنت على ما يرام ."

"أنا بخير . كنت ذاهبة لأحضر "آدم" من المدرسة ."

حاولت أن تبدو طبيعية ولكنها كادت تهوي على الأرض فتشبثت بالمائدة .

– "إن البون شاسع بين ما أنت عليه وكلمة بخير التي تقولينها ."

وأخذ بيدها إلى المطبخ حيث كان الضوء أكثر وساعدها على الجلوس .

أغمضت عينيها من التعب . كانت تعلم أنه ينظر إليها فاحصاً وأن شكلها لايبعث على الراحة ولكن كيف لها أن تهتم بذلك وهي مريضة .

وضع يداً باردة على جبهتها وقال :

"إن حرارتك مرتفعة .."

– "أظن ذلك . لقد أصابتني هذه الانفلونزا اللعينة . لقد أصابت كل من أعرفهم ، وقد حان دوري – ولو كان لديك شيء من الإدراك لخرجت من هنا قبل أن تنتقل إليك العدوى "

– ومن قال إن عندي شيء من الإدراك على الأقل طالما أنت موجودة معي .

واقترب منها يحتضنها بين ذراعيه ويرفعها . قالت ماذا تظن نفسك فاعلا ؟ دعني . اتركني .

– "سآخذك إلى المكان الذي يجب أن تكوني فيه .. الفراش ."

– "هذا سخف .."

– "بل السخف الأكبر أن تقولي إنك ذاهبة لإحضار "آدم" من المدرسة .. أيتها البنت الحمقاء ."

كيف يخاطبها بهذا الشكل ؟

ولكنها ضعيفة عن المقاومة – بين ذراعيه وهو يحملها ويصعد بها الدرج ثم يقف عند مفترق في الردهة :

"أي طريق من هنا ؟ "

أشارت له بيدها فسار بها حتى وضعها برفق على الفراش . قالت :

"اسمع . لا .. لا أريدك أن تعتقد أني غير مقدرة لشعورك ، ولكن لا ينبغي أن أرقد في الفراش . لابد أن أحضر "آدم" ومعه كل أمتعته .

وجلست . أسند "مكسيم" ظهرها إلى بعض الوسائد وربت على كتفيها وقال :

"سوف تبقين هنا . إن حالتك لا تسمح حتى بقيادة السيارة ."

– "المدرسة ليست بعيدة عن هنا ."

– هذا لا يهمني حتى لو كانت المدرسة على الناصية التالية .

لن تخرجي وهذا كل شيء ."

– "وماذا عن "آدم" ؟

– سوف أحضره لك . لا تقلقي وأعدك بألا أذكر له شيئا على الإطلاق غير أني صديق قديم لك أقدم لك العون ساعة الحاجة .. هو قول حقيقي ، أليس كذلك؟"

– "بلى ولكن .."

– "لا أظن الأطفال قد تغيروا منذ كنت طفلا مثلهم ، وثقي أنه سوف يستمتع بالركوب معي ."

قلبت الأمر في عقلها من كل الوجوه ، وكانت غير قادرة على عمل شيء فرضخت لكلامه .

وأثناء ذلك كان "مكسيم" قد وضع قطعة قماش مبللة بالماء فوق جبهتها وقدم لها بعض أقراص الأسبرين ثم بادرها :

والآن هيا اخلعي هذه الملابس ! "

– "ماذا ؟ "

– "نعم . لن أتركك إلا في ثياب المنزل وأنت مستلقية في الفراش ."

– "لا .. أرجوك . لا داعي لذلك ! "

لم يلق بالا إلى ما قالته ، ووسط احتجاجها وخجلها خلع عنها جوربها والجاكت الثقيل والفستان وساعدها في ارتداء جلباب للنوم وهو يقول :

"أنت بنت تسمع الكلام ! "

كانت تتوعده قائلة :

"لن انسى لك ذلك أبداً ."

– "بل سوف تنسين ." .

ولم تتمالك نفسها فخرجت الدموع من عينيها ، فبادرها "مكسيم" :

"لا تبكي يا حبيبتي . ما الداعي إلى ذلك ؟

إنني لا أستطيع أن أخرج وأتركك هكذا .

ليس قبل أن تشعري ببعض التحسن."

ومال عليها يمسح دموعها ويقبل رموشها المبتلة وجبينها وفمها .. رأسها كله .

أحست بحرارة من نوع آخر تسري في جسدها ، غير حرارة الحمى بالطبع ، ولم تقاوم.

حولت رأسها بالكاد نحو "مكسيم" وهمست : أرجو يا "مكسيم" .. أعني أني آسفة لهذا التعب الذي حل بي وساكون ممتنة لك .. إذا أحضرت "آدم" .

– بل هذا سوف يسعدني . ليتني أستطيع أن أعبر لك عن مدى أسفي لما بدر مني ليلة أمس . صدقيني إذا قلت لك أني لم أقصد أبداً الإساءة إلى سمعتك.

ومضت عيناها . لم تدرك من قبل أنه ليس من عادة "مكسيم" أن يعتذر بمثل هذا التواضع عما يبدر منه . ردت :

"كان شيئا لم يكن . لقد قررت تقريبا بشكل نهائي أن .."

– "كلا . لقد سببت لك مشكلة ويجب أن أعيد الأمور إلى نصابها .

والحل في رأيي أسهل مما تتصور . يجب أن نتزوج وفوراً ."

– "نتزوج ؟ أنا وأنت ؟

.. هل تقصد فعلا أن نتزوج ؟ "

– "طبعا . ومن غيرك يشغل تفكيري ؟

ثم إن هذا هو الحل البديهي لكل مشاكلك بحيث لن يكون هناك أي معنى للكلام عن سمعتك . أنت في حاجة إلى رجل في هذا المنزل كما أن "آدم" يحتاج إلى أب . ولقد سبق أن اتفقنا من قبل على أن الأطفال يحتاجون إلى جو أسري هادئ ومستقر . هل تذكرين ؟ "

www.elromancia.com

- "نعم . أظن ذلك ..."

- أنا أعرف ذلك وبما أننا غير مرتبطين عاطفيا بأطراف أخرى وعمرانا فوق الواحد والعشرين ، فهذا أقل ما يمكن عمله من أجل ابننا . ألا ترين ذلك ؟"

- "ولكن .. ما .. ماذا عن "كلير" ؟"

- هذه ليست مشكلة"

- "ماذا ؟"

- "إن "كلير" تفهم الموقف كله .."

اتسعت عيناها وحاولت أن تجلس ثم هتفت : "أحقاً ؟"

- تماما . سوف تحزن بعض الشيء لفقدان وظيفتها ، ولكن ."

- "إذن فسوف تفصلها .. هه ؟"

- "طبعا لا ."

ولكن هذا ما فهمته من كلامك ."

ورجعت بظهرها تستند إلى الوسائد . لا يمكن أن يفعل ذلك بابنتها الحبيبة .

أردف "مكسيم" : ليست نهاية العالم أن تبحث "كلير" لنفسها عن وظيفة أخرى .

- "ماهذا المنطق الأخرق ، وكيف تعاملها بهذا الشكل ؟"

- "ماذا حدث ؟ إن الشركة الجديدة التي ستعمل بها "كلير" سوف تضاعف مرتبها وتضعها خطوة أكثر إلى الأمام . "هذا لا يمكن أن يكون سيئاً ."

- "هل انتهيت من كلامك الآن ؟"

ونظرت إليه وانتظرت برهة ثم استطردت :

لابد أن واحداً منا قد فقد صوابه ."

ضحك : "أنت لم تفكري في ذلك من قبل ، أما أنا فأشعر بأني خطيب يتقدم لطلب يدك .."

- "اعذرني يا "مكسيم" . إني مريضة ولست في حال تسمح لي بمجاراتك فيما تقول .."

- "عفوا يا حبيبتي . أنا الذي كان يجب أن ينتظر حتى تكوني في حال أحسن.

سأعود بعد قليل ومعي "آدم" . حاولي أن تنامي قليلا وسوف تتحسنين بعد قليل."

وقبلها . عندما فتحت عينيها بعد ذلك وجدته يغلق باب الغرفة خلفه بهدوء فاستدارت ودفنت رأسها في الوسائد وانخرطت في بكاء مر أليم ."

www.elromancia.com

الفصل السابع

تدثرت "استيفاني" بالأغطية وجلست بجوار المدفأة ذات النيران المتأججة وتطلعت بنظرها إلى الخارج من النافذة حيث كانت الأمطار تهطل بغزارة في الحديقة . هذا كثير بالنسبة لما اعتاد أن يكون عليه المطر في أبريل . إنه فيضان. وحمدت بقاءها في المنزل في يوم كهذا . كانت تشعر بالاكتئاب والضيق كما لم تشعر منذ عدة أيام . كان خطأ "مكسيم" دون شك ، لأنه احتل منزلها وسيطر على حياتها .

ففي الأسبوع الماضي حين كانت مريضة وجدته لا يكتفي بتعيين شخص من وكالة ما لإدارة محلها حتى تشفى "ليزا" وتعود إلى العمل ، بل أحضر لها أيضا ممرضة محترفة تعتني بصحتها حتى تتحسن . وفوق كل ذلك كان يأمر لها بسيل من الوجبات الشهية التي يعدها لها الطباخون في القصر . ولكنه لم يشر طول هذا الأسبوع إلى مشروع الزواج الذي كان قد فاتحها فيه وأيضا لم تستطع حتى هذه اللحظة أن تفهم قصده حين قال إنه لا مشاكل في وجوده أو مع "كلير" .

هذا غريب للغاية ! لقد حاولت هي ألا تصعد المشكلة وتعقدها ، وإن كان الظاهر أن "مكسيم" يقوم من ناحيته بمناورة ما ، فهل يفعل ذلك يا ترى لكي يسلب منها الطفل ؟ ولكن أين "كلير" الآن ؟ إنها لا تستطيع أن تصل إلى أي استنتاجات قبل أن تستمع إلى "كلير" أولا .

وحتى هذا ، هي غير واثقة منه .

كانت تتأرجح في الانفعالات والتفكير فلا تدري الصواب من الخطأ . ومع ذلك فالذي يحيرها ويمرضها أيضا هو "مكسيم" نفسه ، فهي تراه دائما كلما أدارت عينيها بطوله وسمرة لونه وأناقته غير العادية ، وقد لفت بهذه الصفات أنظار

كثير من الناس الذين غرتهم هيئته .

مثلا ، كانت "ليزا" قد عادت بعد شفائها من الانفلونزا لتدير المحل في غياب "استيفاني" فإذا هي تهيم به وبسحره .

كانت دائما تقرر ذلك حتى أنها عندما زارت "استيفاني" منذ بضعة أيام كانت تقول :

"بما أنه جميل الطلعة .. وأرمل .. وغني .. فسوف أتبع نظاما للطعام واكتساب الرشاقة ."

- "ألم تقولي يوما إنه لا يوجد الرجل الذي يستحق أن تأكلي ، من أجله الكبد وعصير البرتقال ؟"

- "هه ؟ حسنا . أعتقد أن هذا الرجل يستحق الاستثناء ."

أيضا أستطيع أن أجرب هذا النوع الجديد من الغذاء الصحي الذي أعلن عنه منذ يومين . ما رأيك في تناول .. "الكرشة" الطازجة المسلوقة مع الزبادي ؟ إنهم يقولون إنها تقلل الوزن كثيرا . مارأيك؟"

- "هذا لا يدهشني . الواقع أنا أظن أنك مجنونة ."

أما "تيلي" مساعدة "استيفاني" في المنزل فلم يكن حالها أصلح من "ليزا" .

كانت "تيلي" تقول :

- "آه لهذا الرجل . السيد "تايلر" .. ياله من إنسان رقيق ووجيه . تصوري مثلا أنه يأتي لشراء هذه الضيعة ، دون أن يعلم أنك - مثلا - تمتين بصلة قربى له ، كأن تكوني ابنة أحد أعمامه أو أخواله البعيدين .

"ماذا يحدث عندما يعرف ذلك ؟"

- "نعم . إنه خيال ."

لقد انتشرت القصص عنه في القرية كلها وقت أن كانت طريحة الفراش ، غير قادرة حتى على أن تفسر سر إقامته المستمرة في منزلها . ولسوء الحظ أن صحتها تحسنت ولكن بعد فوات الأوان .

أما الميزة الوحيدة في كل تلك الأحداث فكانت تفسير السر في الشبه الكبير بين "آدم" و "مكسيم" .

وكانت تسمع تلميحات رومانسية من "تيلي" أثناء نفض الغبار من على الديكورات ، كأن تقول :

"مسكين مستر "تايلر" .. الرجل أرمل يعيش وحده في منزل كبير أكثر من اللازم. ألم ير أنه يحتاج إلى زوجة ؟ إنه يحب الولد "آدم" ويهتم به . الله أعلم بما قد يحدث في المستقبل"

- "ارحميني بالله عليك يا "تيلي" من هذا الحديث واهتمي بعملك ."

راحت "استيفاني" تنظر إلى النار وهي تحس بكآبة غريبة لا تعرف لها سببا .

كان المفروض أن تشعر بالسرور للود الذي بدأ ينمو بين كل من "مكسيم" و "آدم" حتى أصبحا متلازمين .

لقد قال لها "آدم" إن كل من في المدرسة تجمعوا ينظرون في إعجاب إلى السيارة الحمراء التي ذهب بها "مكسيم" إليه أول مرة ، وأيضا سمح له باستعمال الحاسب الآلي الضخم الموجود بمنزله ووعده أن يعلمه كيف يكتب برنامجاً له .

إنه رجل ماهر وذكي للغاية يا أمي . ومعلوماته تفوق بكثير كل ما عرفت أو سمعت .

هكذا كان "آدم" يقول عنه ، وقد سرت هي لذلك لعلمها أن "آدم" سوف يتعلم الكثير من أبيه .

وفي الأيام التالية بدأت "استيفاني" تحس بابتعاد ابنها عنها وانبهاره بأبيه . حاولت أن تكبح جماح غيرتها ، ولكنها فشلت في استيعاب اطراد العلاقة بينهما. وإذ هي غارقة في تلك الأفكار ، دخل عليها "مكسيم" حاملا باقة كبيرة من الورد الملفوف في الورق الشفاف . ذهب اكتئاب "استيفاني" على الفور وأحست بالخجل من نفسها ، لأنها كانت تدين له بالشكر لاهتمامه بها

www.elromancia.com

أثناء مرضها ، حتى لقد قرر لنفسه إجازة طوال هذا الأسبوع وشرع يزورها كل يوم ليطمئن على حالتها .

وفي نفس الوقت – ودون أن تستطيع الاعتراض – كان يأخذ "آدم" معه في السيارة ليزورا المتاحف المختلفة والأماكن الجديرة بذلك .

قال "مكسيم" هذه الورود لك ، ووضعها بين يديها .."

– يالها من ورود جميلة . وأحست بالخجل عندما قرأت البطاقة الموجودة وعرفت أن "كلير" هي التي أرسلتها . أخذت تزيل الورق الشفاف في اضطراب دون أن ترفع عينيها إلى "مكسيم" وأردفت :

"ما كان يجب .. أقصد أن هذه هي المرة الثانية التي ترسل لي فيها أزهاراً !.."

– "لقد كانت "كلير" تنوي الحصول على إجازة لبعض الوقت حتى تأتي لتزورك ولكنني أصررت على أن تبقى في المكتب بلندن ."

– "ومن غيرك يفعل ذلك ؟"

وأدركت في نفسها أنه يخشى أن تقابل "كلير" وتقارن كل منهما معلوماتها بالأخرى فينكشف أمره .

كانت تعتقد أنه كمن يرمي بمجموعة كرات في الهواء ويحاول التقاطها واحدة تلو الأخرى دون أن تسقط منها واحدة . جذب "مكسيم" كرسيه ناحيتها وقال :

"أظن أن الوقت مناسب الآن لنناقش بعض الأمور فما رأيك ؟"

– "لسنا في عجلة وأظن ... ترى ماذا حدث لـ "آدم" ؟"

– "إنه مشغول ، حتى أنني عندما تركته في القصر قال إنه لا يريد إزعاجا من أحد خلال الساعتين القادمتين .

وإذا كان حدسي سليما فإنني أظن أنه يريد أن يتصل بالحاسب الموجود في بنك إنجلترا ."

شعرت "استيفاني" بالقلق وتخيلت صورة ابنها يساق إلى السجن في صحبة الشرطة وقالت :

"ياإلهي ! ولكنه لن ينجح في ذلك ."

– "كلا بالطبع ! ولكنني أنوي أن أعطيه مجموعة من المحاضرات عن الحاسب الآلي وأخلاقيات العمل على سبيل الحيطة . وعلى أية حال فقد تركته هناك حتى أعطي لنفسي فرصة الحديث معك ."

– "... إني .. في الواقع أشكرك على اهتمامك بـ "آدم" ."

– "وما سبب الشكر ؟ فبصرف النظر عن كونه ابني ، هو أيضا ولد نبيه وأنا أشعر بسعادة عندما أكون معه"

– ".. أيضا أريد أن أشكرك على الوقت الذي قضيته هنا .. في هذا المنزل ."

– "أيتها المسكينة ! لقد جلبت لك الانفلونزا شعورا بالاكتئاب .. أليس هذا ما تشعرين به فعلا في الوقت الحاضر ؟ كم شعرت بالحزن لمرضك ، ولكن ذلك أعطاني الفرصة في نفس الوقت لكي أتعرف إلى "آدم" بطريقة طبيعية وفي وقت قصير ."

– "ولعل كل الناس هنا قد عرفوا الحقيقة .."

– "أي حقيقة ؟"

– "ما بيننا .. أقصد الماضي .."

– "أراك مرتبكة ، ولعلك تقصدين علاقتنا العاطفية .."

– أي علاقة عاطفية ؟ لا داعي لأن تصف التعارف الذي تم بيننا إلا على أنه لقاء .. لقاء عابر . أليس كذلك ؟"

رفع حاجبه متهكما : "هل كان كذلك حقا ؟"

– "وماغير ذلك ؟"

– "مادمت تظنين ذلك ."

غاظها تقبله لعباراتها اللاذعة فاشتاطت مشاعرها وأحست بالإحباط . استطرد "مكسيم" :

– لقد ابتعدنا عن النقطة الجوهرية وهي خوفك من كلام الناس . ألا تظنين أني

www.elromancia.com

قد راعيت ذلك ؟ "

- "هاه ! تلك القصة التي أذعتها أثناء مرضي عن ابن العم الغائب منذ فترة طويلة .."

- "لم أستطع أن أفكر في غير ذلك ، ولكنها تلمس وتراً حساساً وأردت أن أتحدث معك في هذا الخصوص .."

أحست بمزيد من الإجهاد والتعب وقالت :

"أظن أن هذا يتعلق بـ "آدم" ."

- "ماذا بك ؟ أراك مستنفدة القوى .."

- "نعم . هذه الأيام لا أحس بأن عندي طاقة لشيء .."

- "لقد لاحظت أنك مرتبكة مضطربة ، وربما غيور أيضا من الطريقة التي نتعامل أنا و"آدم" بها معا ."

دمعت عيناها في استسلام وقالت :

- "هذا .. هذا يحدث .. رغما عني ! "

جلس إلى جوارها ورد في عطف وحنان لم تعهدهما فيه : هذا طبيعي تماما . لقد كان "آدم" ملكك وحدك طيلة الأعوام الماضية وليس من السهل أن تتقبلي مشاركة غيرك فيه . ولكن هذا ليس السبب الوحيد لقلقك ."

- "أنا لا أفهم ما تقصد .." ومسحت دموعها .

- "أريدك أن تنظري إلى حياتك . إنه لمن الشاق أن تهتمي بولدك وتديرين المنزل والمحل في نفس الوقت . لقد أوضحت لك رأيي هذا من قبل ، ولكنك كنت مريضة فلم تأخذيه مأخذ الجد ، وأعتقد أن دوري لا يتطلب أن أرفع عن كاهلك كل هذه الأعباء وحسب .. لأن "آدم" يحتاج لأب مستديم وليس بعض الوقت ."

حملقت فيه غير قادرة على الكلام فأردف : و طالما أن هذا يحل معظم مشاكلك يا "استيفاني" فأنا أعتقد أنه من الواجب أن نتزوج .."

- "من أجل آدم ..؟ "

- "بالطبع وبما أنك قلقة من رد فعل "كلير" ، دعيني أقل لك إني لم أبح لها بشيء عن علاقتنا السابقة أو حقيقة أن "آدم" ابني - ولكنني ناقشت موضوع زواجي منك ، ولسوف يسرك أن تعلمي أنها موافقة تماما على الفكرة .."

- "أحقا ؟ أنا لا أصدق ذلك .."

- "يالك من إنسانة ضعيفة لم تفق بعد ذلك من تأثير الفيروس اللعين . سوف آخذك إلى الفراش ."

وحملها بين ذراعيه وراح يرتقي بها الدرج إلى حجرة النوم ليضعها في الفراش.

استأنف ما كان قد بدأه من حديث :

"لن أضغط عليك الآن . يمكنك أن تجيبي عن سؤالي عندما تستطيعين ذلك . ولكن لتعلمي أن هناك مزايا أخرى لزواجنا ، وأحسب أنك لم تفكري فيها بعد .."

وقبلها قبلة طويلة ثم عقب :

- "هذا يريك إنه ليس "آدم" فقط ، كما أنه من المؤسف أن نستأنف صلتنا دون زواج فتكون العلاقة بيننا غير مكتملة .. وأرجو ألا تكوني من الحماقة بحيث تعتقدين أنك تستطيعين الزواج من غيري . عندما يكبر "آدم" يمكنك أن تفعلي ما تريدين ، ولكن إلى أن يحين هذا الوقت .. إما أن تتزوجيني .. أولا زواج البتة."

قال ذلك لأنه أحس بعنادها ومكابرتها أيا كان الدافع .

قالت :

"هذا سخف لم أسمع مثله من قبل . لا يمكنك منعي من الزواج ممن أريد ! "

- "أنا لا أريد أن أخوض في تفاصيل ذلك طالما كان لديك شيء من الإدراك في هذا الرأس الجميل . وخرج من الحجرة ضاحكاً باستهزاء .

جلست "استيفاني" في سيارتها خارج منزل "كلير" في "لندن" ، وهي تحاول أن

تستجمع شتات شجاعتها فتطرق على الباب . لم تكن تود أن تترك تأثيرا سيئا في حياة "كلير" ، ولكن ما حيلتها .

كان قد مضى خمسة أيام منذ رأت "مكسيم" لآخر مرة ، وكان "آدم" يقضي عطلة نهاية الأسبوع لدى أحد أصدقائه فانتهزت هذه الفرصة لتذهب إلى "كلير" خاصة وأن صحتها قد تحسنت . وأيضا كان عيد الفصح على الأبواب وسيحل بعد أسبوع فكانت تخشى إن عادت "كلير" إلى البيت ، في أثناء هذه المناسبة وعطلة نهاية الأسبوع أن تضطر لفسخ علاقتها بـ "مكسيم" عندما تصل إلى سمعها روايات القيل والقال . تجلدت وخرجت من السيارة ومشت نحو الباب ثم دقته .

فتح لها شاب طويل يمسك بآلة كمان في يده ونوتة موسيقية ضخمة في اليد الأخرى ، قال لها عندما سألته عن "كلير" :

"أعتقد أنها في الحديقة ."

وأشار إلى بقعة غير محددة في الناحية المواجهة سارت في عصبية إلى هناك فرأت "كلير" جالسة وكانت .. كانت بين أحضان رجل . غلى الدم في عروق "استيفاني" لثوان معدودة أدركت بعدها أن هذا الرجل لا يمكن أن يكون هو "مكسيم" .

لقد تبينت ملامح هذا الرجل . كان طويلا أنيقا ولكنها لم تره من قبل . صاحت "كلير" عندما رأتها : "مرحى !"

وهرولت ناحيتها تقبلها ثم استطردت :

"كم هو جميل أن أراك هنا . ولكنك لا زلت شاحبة . هل شفيت تماما من الانفلونزا ؟"

- "نعم .."

- "أنا آسفة . دعيني أقدم لك "بول جرانت" ."

لامت "استيفاني" نفسها لشكها في هذا الرجل وظنها أنه "مكسيم" رغم الفرق

في الشكل والبنية . صافحت الرجل مرحبة بالتعارف وسألته .

- "هل أقمت مدة طويلا هنا ؟"

- "كلا . بضعة شهور فقط ، ولكنني سأظل هنا طويلا ."

كانت قد لاحظت لهجته الأمريكية وإن كان يتحدث ناظراً إلى "كلير" .

قالت "كلير"

"إنني وبول متحابان ، مخطوبان تقريبا"

- تقريبا ؟ ماذا يعني هذا هل ستتزوجان ؟"

- فعلا ، لكن هناك بعض الأمور التي يجب تصفيتها مسبقا . منها أو على رأسها كيفية الحصول على موافقة "مكسيم" ."

- "مكسيم" ؟ ! وما دخله في ذلك . ما العلاقة ؟"

- "آه . يجب أن تعرفي أن "مكسيم" هو والد "بول" . كيف لا تعرفين ذلك وأنتما على وشك الزواج ؟"

وصحح "بول" :

"الواقع أنا ابن زوجته الراحلة ، وقد قام هو بتربيتي منذ كنت صغيرا كأفضل ما تكون تربية الأب للابن ."

وقالت "كلير" مبتسمة .

"أليس غريباً يا "استفاني" أن تربيني مع أبي وأن يربي "مكسيم" "بول" مع أمه؟"

وكانت "استيفاني" في تلك الأثناء تحاول تنشيط عقلها من غفلته بعد أن اتضح لها خطأ استنتاجها بشأن علاقة "مكسيم" بـ "كلير" . قالت أخيراً :

"أريد أن أسمع الحكاية من أولها يا "بول" .إنني لم اسمع اسمك من قبل ..

أه ..أه .. نعم ! أنا آسفة ."

وتذكرت ليلة اختطفها "مكسيم" من المحل وأخذها إلى حجرة مكتبه بالقصر . أردفت :

www.elromancia.com

"هل أنت الذي يلعب الناي ؟"

- "تماما . هو أنا . لقد كان عزف الموسيقى هو السبب في معرفتي بـ "كلير" . وبهذه المناسبة اسمحي لي أن أهنئك بقرب الزواج من "مكسيم" لقد قال لي إنه سيتزوج من امرأة جميلة .. وأرى أنه أحسن الاختيار ."

احمرت وجنتا "استيفاني" خجلا وحنقا .

لماذا يعتقد الناس جميعا أنها ستوافق على الاقتران بـ "مكسيم" ؟

مالذي كان يقول "مكسيم" عنها لكل من "بول" و"كلير" ؟

ونهضت "كلير" وقالت :

"ما رأيكما في شراب قوي ؟

سوف أقوم أنا بإعداده بينما يلخص لك "بول" المعلومات عن أسرته ويقص عليك كيف تقابلنا لأول مرة إني أشعر بالجوع ، لقد فات وقت الغداء . سوف أعد بعض السندوتشات أيضا ."

وفي طريق عودة "استيفاني" إلى بيتها راحت تتذكر ما ذكره لها "بول" . كان أبوه الحقيقي رجلا يعبد العمل ويدمنه حتى أنه نادراً ما كان يدخل بيته ويقطع الولايات المتحدة شرقا وغربالكي يزيد من صرح إمبراطوريته . وعلق "بول" على ذلك بقوله :

"إنني لا أتصور جدوى العمل بهذه الجدية حتى يسقط المرء صريعا بنوبة قلبية.

لقد لاحظت أن أحد رجال "مكسيم" يضع لافتة على الحائط كتب عليها :

"تناول قلقا وضغطا على الفطور ."

هو يظن أنها عبارة مسلية ومضحكة ، ولكنني أعتقد أن هذا غباء ، وأنا مثلا أريد أن أستمتع بحياتي لا أن أسعى حثيثا نحو الوصول إلى القبر مبكرا .

لقد توفي والدي وأنا في الحادية عشرة وتولاني "مكسيم" بعد ذلك فكان نعم المربي ونعم الأب البديل ، خاصة وأن أمي كانت مريضة معظم الوقت ولم تستطع أن تتفهم مشاكلي ولا أن تساير طفولتي وصباي . والمشكلة الآن أن

"مكسيم" لا يريد أن يعي أني لا أحب أن أكون رجل أعمال ."

وسألت "استيفاني" "بول" عن أمه سؤالا عارضا ندمت بعده على أنها سألته لأنها لم تكن تعلم أن حالة "إيستل جرانت" - أم "بول" - قد شخصت أنها سرطان في المخ ، وذلك في الوقت الذي مات فيه أبوه .

أردف "بول" :

"مسكينة أمي لم تكن مريضة فقط بل كان محامي الضيعة ومحاسبها ينهبانها بعد وفاة أبي .

كان يمكن أن تضيع كل ممتلكاتنا لولا "مكسيم" الذي كان يعمل مساعداً للمحاسب في هذا الوقت ، فاكتشف أحداث السرقة هذه وقرر أن يطلع أمي عليها . لم يكن يعرفها من قبل ويبدو أنه صدم عندما علم بمرضها ."

وعند هذا أدركت "استيفاني" أنها كانت مخطئة في حكمها على "مكسيم" أيضا .

استأنف "بول" حديثه :

"كانت أمي المسكينة في حالة سيئة وقد صرحت لي قبل وفاتها أنها لم تدر كيف وانتها القدرة على سؤال "مكسيم" أن يتزوج منها . لعلها أدركت في ذلك الوقت أن هيئته القاسية تخفي وراءها قلبا رقيقا وملمسا ناعما .. ولاشك أنك تعرفين ذلك .."

قالت في ارتباك : "آه .. طبعا .."

وهكذا علمت أن والد "بول" قد ترك لزوجته "إيستل جرانت" إرثا كبيراً تمكن "مكسيم" من مضاعفته حتى صار صاحب مؤسسة "جرانت تايلر" الكبرى .

ولما كان "بول" يهوى العمل بالموسيقى فقد أراد "مكسيم" أن يريه أهمية العمل التجاري معه وبالتالي أحضره معه إلى "لندن" .

وكانت "كلير" قد عادت بالطعام والشراب عند هذا الحد فتدخلت في الحديث قالت :

www.elromancia.com

"وهذه هي بداية قصة التعارف بيننا . كان "بول" في المكتب ذات يوم وحدث أن تقابلنا بالصدفة فتحدثنا عن الموسيقى وقلت له إنني أعزف على الكلارنيت مع فرقة صغيرة من الهواة .

وشاءت الظروف أن تغيب الفتاة التي تلعب على الناي في الفرقة لاضطرارها للسفر إلى الخارج ، فأصر "بول" على الالتحاق بالفرقة .

إنني أعتقد أنه سوف يضيع وقته إن هو التحق بعمل آخر غير الموسيقى لأنه عازف موهوب ."

كان من الواضح أن تفكير "كلير" الذكي هو الذي جعلها تجاري أهواء "مكسيم" كلما أمكنها على أمل أن تقنعه بقضية "بول" .

وهذا هو الذي جعلها ترتب له زيارة القرية بعد أن اشتراها ، وهكذا تم اللقاء المصيري بينه وبين "استيفاني" بعد مرور سنوات عديدة . وتذكرت قول "كلير" حين قالت :

"لقد شعرت بالأرض تميد تحت قدمي عندما سألته عن شعوره بعد أن أصبح مالكا إقطاعيا للأرض ، لأن ذلك كان يدمر كل الخطط التي رسمتها ."

وتحولت نحو "بول" وقالت :

"إنني لا أذكر أن "استيفاني" كانت بمثل هذا البرود أبداً ، ولقد أثر كلامها في "مكسيم" إذ لم ينطق ببنت شفة ."

لقد جعلت "استيفاني من نفسها أضحوكة أمام الجميع عندما لم تعرف بالمنطق أن ناتج جمع اثنين واثنين هو أربعة . يالها من غبية . لقد اتضح لها الآن السبب في انتقال "كلير" إلى العمل الآخر ، ذلك أن "مكسيم" لم يشأ أن يضعها في موقف حرج بين زملائها عندما يتزوج من زوجة أبيها . كانت "استيفاني" طول الوقت السابق مشغولة بأفكارها الخاصة ولم يخطر ببالها أبداً أن لـ"كلير" وجهة نظر أخرى .

ومرة ثانية تذكرت ما قالته هذه الفتاة وهي تقبلها مودعة قبل أن تغادر "لندن" .

لقد قالت :

"أتمنى لك السعادة مع "مكسيم" . إن مهارته وذكاءه يفوقان الوصف فيما يختص بجلب المال ، وإذا كانت نساء كثيرات هنا يهمن في جاذبيته فأنا لا أجده كذلك ."

وسألتها :

"هل أنت متأكدة أنه ليس كبير السن بالنسبة لك ؟"

وردت "استيفاني" عليها : ماهذا الذي تقولينه ؟ إنني لم أوافق بعد على الزواج .."

– "حسنا . إنه في الأربعين الآن على الأقل ، أليس كذلك ؟

.. من الناحية العملية فإن الرجل في هذه السن يكون قد وضع بالفعل إحدى قدميه في القبر ."

وضحكت "استيفاني" كثيراً حتى تقلصت عضلات فكها ونسيت أن تخبر "كلير" في هذا الوقت بما كانت ترمي إليه .

نسيت أن تطلع "كلير" على ردها على "مكسيم" .. إن هو عاد – ولا يقين في ذلك . ليطلب منها الزواج مرة أخرى .

الفصل الثامن

كانت قد توقفت بأحد المقاهي وقضت فيه وقتا طويلا تناولت خلاله عدة أقداح من القهوة وفكرت في مشكلاتها الراهنة .. وأخيراً وصلت إلى القرية قبل حلول الظلام بقليل .

لقد قلبت موضوع الزواج في رأسها من كل الوجوه ووجدت استحالة حدوث ذلك.

لقد فهمت من "بول" أسباب زواج أبيه من السيدة المريضة المقهورة ، وفهمت أيضا السبب في إنهاء "مكسيم" لعلاقتهما العاطفية السابقة وأخذت هي تستنتج استنتاجات خاطئة طول الوقت لتفسر ما حدث لها .

ولكن كان من الواضح الآن أن "مكسيم" يريد أن يرعى ابنه ، ولما وجدها على جاذبيتها فقد قرر أن أن يستفيد من ذلك أيضا .

لو لم تكن تحبه ما كانت هناك مشكلة فلا يوجد ما يمنع رجلا وامرأة عن الاكتفاء بتربية أولادهما في منزل يرفرف عليه الحب والدفء . ولكنه لم يصرح لها أبداً بالحب ، وإذا كانت لا تبخل بعمل أيا كان من أجل "آدم" ، فالله وحده هو الذي يعلم فداحة الثمن الذي ستدفعه من أجله لو تزوجت بـ "مكسيم" . لم تتوقف بمنزلها بل استمرت تقود السيارة نحو القصر وقد عقدت العزم على أن تصفي حسابها مع هذا الرجل وتضع النقط فوق الحروف . توقفت بالسيارة ومشت نحو باب القصر ، فما كادت تقترب منه حتى وجدته ينفتح فجأة لترى "مكسيم" خلفه يقف مرحبا : "جميل .. جميل .. هذا سرور غير متوقع .."

ودت "استيفاني" لو لم تتخذ القرار بالقدوم إلى هنا : أن تقرر عدم الزواج من "مكسيم" مقتنعة بذلك شيء وأن تقف أمامه لتقول له ذلك شيء آخر .

إن مجرد النظر إليه بقوته وأناقته يجعل قدميها تتعثران .

يجب على السلطات المعنية أن تلصق على هذا الرجل عبارة "ضار جداً بالصحة" .. أو احذر "هذا رجل جذاب للغاية" ...

سألت "استيفاني" : تفتح بنفسك ؟ ماذا حدث لمديرة منزلك ؟

قادها "مكسيم" نحو غرفة المكتب ورد عليها وهو يرفع حاجبا أسمر حائراً :

"لقد عملت وزوجها في القصر بكل جد وهمة فسمحت لهما بإجازة في عطلة الأسبوع للراحة وليتمكنا من رؤية ابنتهما المتزوجة في "برمنجهام" .

ولكن إذا كنت قد أتيت إلى هنا لتتحدثي معها بخصوص منزلك فبمقدوري أن أعثر لك على سيدة أخرى في القرية حتى ..."

- "لا تكن سخيفا . فأنت تعلم أني لم أجئ إلى هنا لكي أتحدث مع مديرة المنزل .."

- "بلاشك . لقد أتيت ممثلة لجمعية الأرامل والأيتام . أليس كذلك ؟"

- "ماذا تقول ؟"

- "لقد اتصلت بي سيدة عجوز هذا الصباح وطلبت مقابلتي للحصول على بعض المال من أجل منظمة تحتضر اسمها منظمة السادة البائسين .. وأظن أنك قدمت لغرض مشابه .."

ضحكت وقالت : "كلا .. كلا .. بالطبع .."

- "إذن فأنت هنا للاستمتاع بصحبتي . عظيم .. عظيم"

- "ليس تماما .."

وأحست "استيفاني" بصدى مرارة في صوته فلامت نفسها مرة أخرى على القدوم إلى القصر هذا المساء بالذات . لابد أن شيئا ما يشغل تفكيره وبالتالي فالوقت غير مناسب للحديث معه . قال "مكسيم" :

- "أظن أنك تخفين علبة لجمع النقود تحت هذه الثياب هه ؟"

- هذه سذاجة يا "مكسيم"

.. "لقد أتيت لكي .."

- "هل تشربين شيئاً ؟"

- لا . شكراً ."

وانتظرت حتى ملأ لنفسه كأسا ثم استطردت :

"والآن : هل تسمح لي بالعودة إلى الموضوع الذي أتيت من أجله ؟"

- "لماذا لا تجلسين ، إن وقوفك هكذا لا يريح .."

لم تكن تريد أن يشتت تفكيرها أحد عما عقدت العزم عليه فضغطت على أسنانها وردت :

- "لن أجلس .. وأرجوك استمع إلي .."

وجلس "مكسيم" وقال : "أفضل ألا أستمع .."

إنني أعرف ما سوف تقولين وأود أن أقول لك إنك مخطئة .."

- "وكيف تعرف ما كنت أنوي قوله ؟"

- لأنني أعرفك جيداً . لقد أتيت إلى هنا مشحونة لتخبريني بأنك لن تتزوجيني وهذا خطأ كبير .. وقد أخبرتك منذ أيام قليلة أن لك من الجمال ما يجرمك في أن تقضي بقية أيامك تقومين بدور الأرملة العذراء .

ردت في غضب :

- "هاه . هذا يهيأ لك . الظاهر أنك تظن أن سحرك لا يقاوم ، دعني أقرر لك إذن أني قررت الزواج من رجل آخر"

- "حقا ؟ من هو ؟ من هو ذلك المحظوظ ؟"

- "إنه .. إنه "جاي" ." قالت ذلك كاذبة رغم أنها لم تر "جاي" منذ قابلهما "مكسيم" وتقوّل عليها . أردفت :

"سوف أتزوج "جاي فلتشر" .. في .. في الأسبوع القادم ، وسوف نقضي شهر عسل أكثر من رائع نبحر من خلاله في الكاريبي .. إنني أتوق لهفة إلى هذه الأيام الدافئة ولياليها .."

كانت تتعجب لقدرتها على التمادي في هذا الكذب دون أن تكون هذه عادتها من

www.elromancia.com

قبل . وعلق "مكسيم" على ذلك بقوله :

"هذا لا ينطلي عليّ يا "استيفاني" ."

– هذه حقيقة . أرجو أن تتقبل الأمر ببساطة يا "مكسيم" .. اهدأ .."

وما كادت تغادر الغرفة حتى هب "مكسيم" كالنمر وخطا نحوها بسرعة وقد التمعت عيناه بالغضب واصفر لون بشرته . صاح :

"لن تتزوجي من هذا المحاسب الحقير ."

وهدد من بين أسنانه :

"مهما كلفني ذلك .. أي شيء .."

تقهقرت إلى الخلف حتى أحست بمقبض الباب يستقر في ظهرها ، فمدت يدها نحوه إلى الخلف تحاول أن تفتحه لكي تخرج من أمام هذا الطائش المجنون وهي تقول :

"اهدأ .. اهدأ .."

– "لن يحدث هذا بعد ما تكبدت من عناء حتى أعثر عليك . لن أدعك تهربين من بين يدي أبداً يا "استيفاني" .."

خرجت من الباب بعد أن فتحته نصف فتحة بعد أن عجزت أصابعه عن الإمساك بها في الوقت المناسب ، فانطلق وراءها إلى الردهة المؤدية إلى باب القصر . وتعثرت بسبب الحذاء ذي الكعب العالي الذي ترتديه ، وفيما كانت تحاول استعادة توازنها حتى لا تسقط لحقتها يداه ووقف حائلا بينها وبين الباب .

هتف :

"آسف يا حبيبتي لن تخرجي من هنا .."

– "لن أتزوجك .."

– "بل ستتزوجيني.."

– إنني .. إنني أحب ابني .. ولا أتردد في عمل أي شيء من أجله ، ولكنني غير مستعدة للتضحية بما بقي في حياتي من أجل .. من أجل ضميرك الذي

يؤلمك .."

– "من قال هذا الكلام الوضيع .. إنني لم أعلم بوجود ابن لي إلا منذ شهر فقط ."

– "وهو نفس الوقت الذي قررت فيه أن تتزوجني .. حتى تستطيع الوصول إلى "آدم" .."

– "أحقا ؟ اللهم صبراً عليك يا "استيفاني" . كيف تكونين بهذا الغباء . لقد سرني بطبيعة الحال أن أعرف أن لي ابنا – لكنني كنت في البداية أبحث عنك .. أنت التي كنت أبحث عنها طول السنوات العشر الماضية ، ومن أجلك اشتريت هذا القصر اللعين – إن السماء لو انطبقت على الأرض ما منعتني من الزواج بك ."

حاولت أن تتملص من الركن الذي حصرها فيه قائلة :

"أنت لا تعي ما تقول"

– "طبعا أنا لا أعي ما أقول . وماذا تتوقعين مني خلاف ذلك ؟ لقد أحببت مرة واحدة فقط في حياتي. وعندما قمت بتضحيتي الكبرى من أجل زوجتي وأدرت ظهري لهذا الحب ، وهي أنانية مني ، ترين ماذا حدث ؟ أنا أقول لك يا "استيفاني" :

لقد كان جزائي على سلوكي القبيح هذا أن قضيت عشر سنوات من البؤس والشقاء . سنوات خاوية من أي شيء إلا الرماد .. والتراب ! "

أحست "استيفاني" بالخوف يشل عقلها ، فعندما بدأت تفهم ما كان يقول أدركت بغتة أنه يتقدم ناحيتها مهدداً . ارتعدت رأسها خوفا راحت تنظر بعصبية نحو منفذ للخروج من حصاره – ولكن فات الأوان أمسك بها وحملها إلى إحدى الغرف وسط صراخها فما كان منه إلا أن طرحها فوق سرير ضخم "صرخ :

"إياك .. إياك أن تقولي كلمة واحدة ، وإلا فأنا غير مسؤول عما قد يصدر مني."

www.elromancia.com

تكومت في مكانها ترتعد من تهديده وجسده القوي المنتصب الذي يطل عليها من أعلى . وساد صمت قاتل لبرهة تبادلا فيها النظرات ، وأخيرا قال "مكسيم" وهو يحاول أن يستعيد تحكمه في أعصابه .

– لم يسبق أن فقدت السيطرة على مشاعري قبل اليوم وأنت السبب في ذلك يا "استيفاني" . ما الذي تخططين له لتواجهيني بهذا السخف عن زواجك من المحاسب الجبان . ؟ "

لم تفتح فمها بشيء فالح في السؤال :

"قولي شيئا ؟ "

– "أردت .. أردت أن أوذي مشاعرك "

قالت ذلك وهي تنتفض كورقة الشجر في الريح وضربات قلبها تنبح عاليا حتى ظنت أنه يسمعها ..

– "لقد نجحت يا عزيزتي .."

– "آسفة .."

وجلس إلى جانبها وهو ينظر إليها في حنان . وفكرت هي في جدوى مقاومة الحب العميق الذي تكنه لهذا الرجل . قال "مكسيم" :

"أنا آسف أيضا . لم أقصد أن أخيفك ."

ونظرت "استيفاني" إلى وجهه تتأمله بينما استطرد "مكسيم" :

"لقد اخترت الألوان في هذه الغرفة لكي تلائم لون عينيك الجميلتين .."

ثم احتضن رأسها بين يديه قائلا :

"كم أحبك يا "استيفاني" .لقد كانت السنوات العشر الماضية سنوات عذاب .."

ودفن رأسه في شعرها . أردف بعد برهة :

"إنني لم أجبر امرأة في حياتي على شيء . ولست أنوي أن أبدأ ذلك الآن . لقد سخرت مني بما يكفي لإرضاء مشاعرك وغرورك ، فإذا كنت تريدين ألا تتزوجيني فالباب مفتوح أمامك .."

– "لا .. لا .. أنا التي تستحق السخرية .. لقد كنت غبية . إن حبك لم يخمد لحظة واحدة طول حياتي ، حتى لقد حاولت ولكني فشلت . وأعتقد .. أعتقد أن عقلي لم يكن يرى الأشياء على شكلها الحقيقي . كنت كمن ينظر في المنظار من الناحية الأخرى بعد أن عدت لتدخل حياتي مرة أخرى .

آه يا "مكسيم" . لا تتصور كم كنت غبية .."

واغرورقت عيناها بالدموع .

قال "مكسيم" :

"لا تبكي يا حبيبتي . وأعدك بألا أكون سببا في بكاء لاحق أبداً ."

وعثرت شفتاه على شفتيها في قبلة ناعمة عميقة التأثير ظنت خلالها أنها سوف تموت من السعادة . وشعرت بأصابعه تلمس جسدها مثلما تلمس جواهر نادرة ثمينة .

وهمست "استيفاني" :

"سوف أتزوجك يا "مكسيم" بالطبع . كانت الأمور كلها مرتبكة وغير واضحة في رأسي .."

– "أنت معذورة . لقد كنت أنا السبب في كل الأخطاء وسوء الفهم منذ البداية .. منذ ذلك الحفل الخيري الذي أقيم في "نيويورك" وتعلقت مشاعري بأجمل فتاة وقعت عليها عيناي . أحسست ساعتها أني أملك العالم كله ، وعشت أياما قليلة كنت فيها كمن يطير في الهواء من فرط السعادة التي لا أظن أن إنسانا آخر قد ذاقها .

ومن يدري ؟

من يدري إن كانت كل الأساطير الرومانسية اليونانية القديمة حقيقة . إنني أظن حتى أن سعادتي كانت أكبر وحبي كان أعظم . وبعد ذلك .. أظن أننا دفعنا ثمن هذه الفترة الجميلة .."

– "لماذا لم تقل لي يا حبيبي عن زواجك منذ البداية ؟ "

www.elromancia.com

– "لا أستطيع أن أصف لك .. مشاعري في هذا الوقت . لقد كنت أحضر حفلا وتحدثت فيه إلى قوم كانوا على نفس القدر – مثلي – من السأم بالحياة وما فيها . وذات لحظة تذكرتك .. رأيتك من بعيد .. لا أعرف كيف أعبر لك عما أحسست به حينذاك .

شعرت بغياب الزمن وأن الساعات في العالم كله قد توقفت . كلا ، ليس كذلك . الحقيقة أني وجدت نفسي يائسا قانطا من الاستمرار في حبك ، وهو الحب الوحيد في حياتي الذي جلب لي السعادة ، ولكنه أنساني واجباتي والتزاماتي الأسرية وأبعدني عن عالم الأرض والواقع الذي أعيش فيه .

وبدأت أدرك تدريجيا كم الأذى والمشاكل التي ستنشأ بسبب تصرفي الأهوج .

كان أمر زواجي سيشيع بعد قليل وسوف يصل إلى سمعك وعندئذ ماذا يمكن أن يحدث ؟

حتى لو لم تنته علاقتنا بعد ذلك فقد كنت أراك صغيرة وبريئة لكي أجرك معي إلى مستقبل مجهول ، بينما الحياة لا تزال أمامك .

كانت "إيستل" مسكينة .. ما كان يجب أن أتزوجها ، ولكنها كانت يائسة وتعاني مشاكل في الضيعة التي خلفها لها زوجها .

كانت تعلم أيضا أنها لن تعيش طويلا ويساورها القلق باستمرار على مستقبل ابنها الصغير .

لقد شعرت بالأسى العميق لهذه السيدة . ثم .. ثم وبعد سنتين قابلتك ، وكانت "إيستل" في أشد حالاتها المرضية بعد أن أجرى الأطباء لها كثيراً من العمليات الجراحية الفاشلة . وجدت أنه من الشاق أن أتركها وولدها وهما في هذه الحال. هداني تفكيري ساعتها أيضا أني لو كنت أحبك حقا لتركتك وشأنك .. حتى لا أدمر حياتك بعلاقة خاطئة لن تنتهي أبداً إلى الزواج ."

وقالت "استيفاني" في حزن :

"كان يجب أن تعرف أني ما كنت لأتردد في انتظارك حتى نهاية العمر ."

– "لا يا حبيبتي . كيف لي أن أطلب منك ذلك ؟ لست شريراً إلى هذا الحد . لقد تركتك وأنا أعلم أني أنفذ العمل الصائب الوحيد ، فيما كان قلبي ينزف دما وأنا أخرج من باب شقتك ."

– "لقد شعرت بفاجعة آنذاك .. وعرفت بعد ذلك أني حامل .."

– لم أعلم بذلك . ولن أغفر لنفسي أبداً أني تركتك على هذه الحال . وبعد وفاة "إيستل" صرت حراً وقطعت المسافة بين قطبي الأرض بحثا عنك بلا جدوى .

لقد أنفقت آلافا عديدة من الدولارات في عملية البحث هذه وتخيلت بعدها أنك قد غادرت هذا الكوكب . وحتى الآن أنا لا أعرف ماذا حدث لك بعد أن غادرتك فيما مضى حتى التقينا ثانيا في هذه القرية ؟

روت له حكايتها باختصار وختمتها قائلة :

"وكانت صدمة لي عندما وجدتك تدخل بيتنا مع "كلير" ويالها من مصادفة غريبة !"

– "مصادفة ؟ لم تكن كذلك بالمعني المفهوم . لقد عثرت على أول خيط لك منذ سنتين تقريبا ، وكنا نحاول أن نجذبك إلى دائرتنا .. نحاول أن نمهد للزواج بيننا .."

– "ماذا ؟ تعني أنك .."

– "تماما .. كنا ننصب لك فخا يا حبيبتي ."

أخذت تضربه على صدره وقد استغرق هو في الضحك قائلا :

"كفى .. كفى "

قبلها ثم أكمل حديثه بعد برهة : ولقد رأيت أن أتخذ بعض الخطوات للأمام فاشتريت مؤسسة في "لندن" ثم هذه الضيعة .. ولم يتم هذا طبعا خلال أيام قليلة ولا بنفقات يسيرة .

– ولكن لماذا فعلت ذلك ؟

كان من السهل أن تأتي إلي فتطرق الباب قائلا : كيف أنت يا "استيفاني" أو شيء من هذا القبيل .

www.elromancia.com

- "وهل كنت تفتحين ذراعيك مرحبة ؟ هه ؟"
- "ربما لا .."
- "وهذا هو ما فكرت فيه . لقد فقدتك لمدة طويلة دون أن أعرف أين أنت حتى رأيت صورتك ذات مرة في إحدى مجلات الأزياء الموجودة في محل كنت قد اشتريته في ذلك الوقت .

لقد أصابني ذلك بالذهول ، وعندما عدت إلى صوابي استأجرت عدداً من المرشدين في هذه الناحية لكي يقتفوا أثرك ويطلعوني على أخبارك .

علمت أنك تزوجت من رجل يدعى "هاموند" وأنك ترعين ثلاثة أطفال اثنين منهما كانا لزوجك من زوجة سابقة ، وعرفت أنك تديرين محلا للأزياء والمفروشات فقلت لنفسي لماذا لا أشتري الشركة التي تبيع منتجاتك في أمريكا ؟ .."

وصاحت "استيفاني" :

- هذا حدث لـ "هارولد !"

وتذكرت حديثها مع صديق والدها منذ عدة أسابيع مضت .

استطرد "مكسيم" :

"وانتني فكرة أفضل .

لم أكن أعرف شيئا عن أسلوب حياتك وتخيلت أنه من الصعب أن أخرجك من هذه القرية خاصة وأن ابنك يدرس في مدرسة داخلية بها .

وجدت أنه من الأنسب أن أنقل مركز نشاطي إلى هنا في "لندن" .."

- "كل هذا يبدو صعب التصديق ."

- "ألم تفهمي بعد ؟ لقد كنت أعلم أنك - مثلي - تحبين مرة واحدة في حياتك، وعلى ذلك فلو أخطأت في أي خطوة تجاهك لكان معنى ذلك أن أفقدك مرة أخرى .

لم أدخر وسعا أو نفيسا من أجل أن أحصل عليك يا "استيفاني" حتى بعد أن علمت أنك قد تزوجت وأن لك ابنا .."

- "ولكنني لم .."

- "هذا أعرفه الآن ، ولكنني قبل ذلك كنت أظن أن "آدم" بن "هاموند" ."

- "لم أقصد أن أقول ذلك ، فالواقع أنني .. أنني و"جيمس هاموند" .. لم .. احمرت وجنتاها خجلا وأردفت :

"إنك الرجل الوحيد الذي سلمت له نفسي .."

- "لم أكن أعرف ذلك أيضا . لقد كانت الغيرة تقتلني ، ولكنني كنت أدرك أنه ليس من حقي ... وكنت أجهل الكثير عن حياتك .

هل تعلمين ماذا حدث بعد أن اشتريت الشركة الإنجليزية ؟ لقد عثرت بالصدفة في قائمة العاملين بها على اسم "كلير" فأدركت أن الحظ قد حالفني أخيراً .

لقد رقيت هذه الفتاة وألحقتها بمكتبي ولعلها ذهلت لذلك ولكنها لم تدر كيف !

وعن طريق "كلير" سمعت أن هذه الضيعة معروضة للبيع وسارت الأمور بعد ذلك بطريقة طبيعية حتى قابلتك وكانت صدفة أن أدركت احتمال أن يكون "آدم" ابني ، ولا أنكر أن هذه الصلة أعطتني الفرصة للضغط عليك بعض الشيء ."

- "بل كان ضغطا شديداً أربكني وشل قدرتي على التفكير والعمل ."

- "أعرف ذلك يا حبيبتي ، وكم أنا آسف لذلك ، ولكنني لم أملك الحل البديل وخاصة بعد أن رأيت هذا المحاسب اللعين يحوم حولك .

لقد قال لي المخبرون أنه قد أصبح يشكل جزءاً مهما من حياتك فكان يجب أن أتخلص منه .. وبسرعة !"

- "وفعلت ذلك أيضا وكدت أن تلطخ اسمي بالعار ."

- "سامحيني .. أنا آسف ."

- "كاذب . لست آسفاً ولا غيره ، بل كان مكراً منك . ولكن ألم تخف على اسمي وسمعتي الحسنة ؟

- إن اسمك من الآن سيكون مدام "تايلر" ، ولن يجرؤ أحد على التقول عنك أو عن ابني ."

www.elromancia.com

- .. بمناسبة الحديث عن الأبناء ، لقد قابلت "بول" اليوم في منزل "كلير" .
- "هما ثنائي متوافق ويمكن أن يكونا عائلة سعيدة معنا . أليس كذلك ؟ "
- "يبدو أنك في زحمة التخطيط لمحاصرتي لم تعرف أنهما سيتزوجان "
- "هذا خبر عظيم . قولي لي المزيد ."

وأخبرته بما رأت وسمعت وختمت كلامها بقولها :

"يجب أن تعترف بأن "بول" لم يخلق للأعمال التجارية يا "مكسيم" وأظن أنه من الظلم أن تستمر في دفعه إلى غير ما يريد .

- لا تقلقي . لقد وصلت إلى هذا الرأي مؤخرا وحسبي أن أنشغل بابني "آدم"..
- وكيف سنخبر "آدم أنك أبوه ؟

ابتسم وقال :

أنا لا أؤيد الإسراع في ذلك ، وفي نفس الوقت لا أحب التباطؤ فيه وأرى أن نشرح له الحقيقة تدريجيا والظروف التي أحاطت بنا حتى لا يصدم ."

- "يا إلهي . لقد كان آدم مع صديق له كان يجب أن أذهب لأحضره إلى البيت منذ نصف ساعة مضت ! "
- "هذه ليست مشكلة . سوف نتصل بأهل ذلك الصديق ونعلنه بتأخرنا ثم نذهب معا لنحضره .
- "إن ما كان يقلقني ليس التأخر ، بل هو ما أرتدي فثيابي تبدو متسخة بعد عناء اليوم "
- "عندي الحل ."

* * *

تمت بحمد الله